النارنـجيون في مصر والشام
عصري الأيوبيين والمماليك
دراسة تاريخية

إعداد

د/ عمرو عبد العزيز منير

كلية الآداب جامعة جنوب الوادي

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة جنوب الوادي

تاريخ الاستلام : ٢٠٢٢/٥/١٧م

تاريخ القبول : ٢٩ / ٢٠٢٢/٥م

ملخص:

تركز هذه الدراسة على مسار بعض جماعات الحِيَـل والاحتيـال، الـذين احترفوا خفَّة اليد (العفر) أو الدَّك مع خفة اليد (المشاتون)، أو «أصحاب الكاف» في الحيلة والاحتيال.

وهو ما يطرح إشكالية حول وجود شريحة تملك من المهـارة مـا يجعلهـا تسوق حرفتها لكل الطبقات المجتمعية ولكنها ظلت مهمشـة ورغـم ذلـك ظلـت موجودة في المجتمع بشكل أو بآخر استطاعت أن تواجه التهميش وتوسع من مساحة دورها داخل المشهد التاريخي وتحت الضوء بحيل مختلفة وتعمل على إبراز مساحة تواجدها في المجتمع رغم التحديات العديدة كونها مهنة وضيعة ومنبوذة ومهمشة في المجتمع وفي الوقت ذاته تواجه تحديات دينية تحرم كل ما يتصل بالشعبذة بأشـكالها المختلفة، وبالتالي هى في وضع تقييمي فقهي خوفًا من ممارسات الحيل والاحتيـال التي قد تترك أثرًا سلبيًا على الأفراد. إضافة إلى أن الدراسة تطرح إشـكالا آخـر يتعلق ببنية وتحديات هذه الشريحة نفسها منها التحـديات الماديـة التـي تواجههـا الشريحة في سبيل تأمين معاشها القائم والمشروط بإتقان طرق متنوعة للحيل، التـي كان من أسباب إقبال الناس عليهم ما جعل هذه الشريحة دينامية فـي مواجهـة آراء التحريم الدينية، ودينامية في اكتساب الجاذبية الاجتماعية تجاه هذه المهنة التي جعلت أصحابها يخترقون عدة طبقات في المجتمع من أسفل إلى أعلى، ولم ترض أن تظل حبيسة قاع المجتمع على الدوام. والدراسة تنشغل بتقـديم صـورة هـذه الشـريحة المهمشة تاريخيًا وطبيعة الدور والتحديات التي واجهتها، وتكشف عن موقف النخبة المثقفة تجاه هذه الجماعة، كما تنشغل الدراسة أكثر بفهم المجتمع من الداخل، وهـذه الشريحة وسيلتنا للكشف عن طبيعة التهميش والجماعات المهمشة داخل المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الاحتيال؛ المحتالون؛ الأيوبيين؛ والمماليك؛ النارنجيات

مقدمة:

يشكِّل تاريخُ الأيوبيين والمماليك وحدة عضوية تاريخية واحدة؛ سواء من حيث أسبابُ الظهورِ التاريخي أو من ناحيةِ أسباب السقوط؛ إذ كانت الدولة الأيوبية تُجسِّد للاستجابة السياسية العسكرية التي فرضتها الحروب الصليبية طوالَ القرن الثاني عشر الميلادي، والتي لم تظهر من غياهب المجهول، بل كان مسوِّغ قيامها هو دَوْرَها التاريخي في تصفية العدوان والوجود الصَّليبي. ثم برزت قوة بديلة، فكانت دولة المماليك هي التي جسدت هذه القوة الجديدة. ونجحت فيما لم يحققه الأيوبيون، ومثلما ورِث سلاطين المماليك مُلكَ الأيوبيين ومسئولياتهم العسكرية والسياسية في التصدي للصليبيين، ورثوا عنهم الاتجاه الفكري والثقافي(١). وكان حصاد هذه الحقبة هو تصاعدَ تيارات ثقافية شعبية كان من أحد نتائجها ازدياد تأثير الدراويش والمجاذيب في الحياة العامة وثقافة المجتمع(٢)، فشاعت أخلاقيات الحزن والاستسلام، والاعتقاد في أصحاب المحاكاة والتخيُّل(٣) وتنوع ألاعيبهم وطرق حِيَلهم أو احتيالهم، وهي مؤثرات انتشرت بين طبقات المجتمع(٤).

هذه المؤثرات اتخذت شكل تيار اجتماعي – ثقافي خفيٍّ، ولكنه مستمر وصاعد، بحيث يتبلور من خلال الأفكار السائدة في مجتمع(٥)، حمل ذاكرة ثقافية تُعدُّ الاحتيال أحد مكونات سننها الثابتة(٦)، وهي مفاهيم تتقاطع أحياناً مع ظواهر مجاورة؛ إذ لا تزال ممارسات الحِيَل والاحتيال ، حاضرة في سلوكيات العديد من الأفراد وتصوراتهم رغم تنامي نسق الحداثة.

تركز هذه الدراسة على مسار بعض جماعات الحِيَل والاحتيال، الذين احترفوا خفَّة اليد(٧) (العفر) أو الدَّك مع خفة اليد (المشاتون)، أو «أصحاب الكاف» في الحيلة والاحتيال(٨).

وتستمد الدراسة **أهميتها وجدواها** من كون موضوع مجتمع المحتالين، وطبيعة دورهم في المجتمع، وما أتقنوه من مهارات وفنون حِيَلٍ وخفَّة يدٍ – يُعدُّ من

الموضوعات التي لم تحظَ بدراسة في الكتابات العربية والأجنبية، والدراسات الموجودة لم تأتِ بالكيفية المنتظرة من حيث العدد والنوع، الأمر الذي خلق فجوة بين ما يعكسه الواقع التاريخي في المجتمع من دلالات تؤكد على وجود الممتهنين للنارنجيات، ودورهم المتأرجح بين الاحتيال أو الترفيه في آن واحد بشكل لافت، ويؤرخ في الآن نفسه للحياة السِّرية والمتناقضة التي كانت تموج بها فضاءات مجتمع الدراسة، وأسواقه الساهرة، واحتفالاته وتجمُّعاته الرخيصة التي يرتادها المهمَّشون والمنبوذون والطبقات الكادحة؛ بحثًا عن تسلية عابرة تنسيهم همومَ الواقع وقساوةَ الحياة. وهو ما يُكسِب هذه الدراسة أهميتها وهي بصدد الوقوف على التاريخ السِّري للمجتمع بأسواقه ودروبه، ولتاريخ ثقافته التحتية ولروادها من طبقات المجتمع المختلفة، وسجل تحولاتها وأوجاع بَنِيها، ولا يمكن الفصل في هذا المجال بين تحولات المجتمع وتحولات أهل الحِيَل والاحتيال، فقد دخل كل منهما في الآخر وتداخل معه.

وهو ما **يطرح إشكالية** حول وجود شريحة تملك من المهارة ما يجعلها تُسَوِّق حِرْفَتها لكل الطبقات المجتمعية، لكن هذه الشريحة ظلت مهمَّشة، رغم أنها ظلت موجودة في المجتمع بشكل أو بآخر، واستطاعت أن تواجه التهميش وتوسع من مساحة دورها داخل المشهد التاريخي وتحت الضوء بحِيَل مختلفة؛ كما ظلت هذه الشريحة كذلك تعمل على إبراز مساحة تواجدها في المجتمع رغم التحديات العديدة التي تواجهها؛ كونها مهنةً وضيعةً ومنبوذة ومهمَّشة في المجتمع، وفي الوقت ذاته ظلت تواجه تحدياتٍ دينيةً تحرِّم كل ما يتصل بالنارنجيات بأشكالها المختلفة، وبالتالي هي في وضع تقييمي فقهي؛ خوفًا من ممارسات الحِيَل والاحتيال التي قد تترك أثرًا سلبيًّا على الأفراد.

إضافة إلى أن هذه الدراسة تطرح إشكالًا آخر يتعلق ببِنْية هذه الشريحة نفسها وتحدياتها، منها التحديات المادية التي تواجهها الشريحة في سبيل تأمين معاشها القائم

والمشروط بإتقان طرق متنوعة للحِيَل، التي كان من أسباب إقبال الناس عليهم هو ما جعل هذه الشريحة دينامية في مواجهة آراء التحريم الدينية، ودينامية في اكتساب الجاذبية الاجتماعية تجاه هذه المهنة التي جعلت أصحابها يخترقون عدَّة طبقاتٍ في المجتمع مِن أسفلَ إلى أعلى، ولم تَرْضَ أن تظلَّ حبيسةَ قاعِ المجتمع على الدوام.

والدراسة كذلك تنشغل بتقديم صورة هذه الشريحة المهمَّشة تاريخيًّا، وطبيعة الدور والتحديات التي واجهتها، وتكشف عن موقف النُّخبة المثقَّفة تجاه هذه الجماعة، كما تنشغل الدراسة أكثر بفهم المجتمع من الداخل، وهذه الشريحة وسيلتنا للكشف عن طبيعة التهميش والجماعات المهمَّشة داخل المجتمع في تلك الفترة.

وتكمن **صعوبات الدراسة** في الاهتمام – لا بنُخَب المال والدين والسلطة السياسية – وإنما بعنصر االمحتالين ومهاراتهم بوصفهم أحد العناصر الاجتماعية التي رزحت تحت سيطرة تلك النُّخَب، وهي العناصر التي احتلت دائمًا المواقع السفلى والوسطى في مختلف التشكيلات الاجتماعية والاقتصادية التي تعاقبت على المجتمع في مصر والشام منذ أقدم العصور حتى فترة الدراسة.

كما تتمثل صعوبات الدراسة في «عيب» ممثلي هذه الشريحة الاجتماعية غير المالكة للثروة والسلطة، وأنهم فاعلون اجتماعيون «صامتون» لم يَدُرْ بخَلَدهم أبدًا أن يُدوِّنوا تاريخَهم بأنفسهم، بل إنهم – شأنهم في ذلك شأن غيرهم – لم يكونوا قادرين على ذلك، ولو أرادوا ذلك ما استطاعوه نظرًا إلى ما كانوا عليه أغلبهم من أُمية دامسة، خلافًا لما كان يفعله عِلْيَةُ القوم – وأغلبهم من الحضريين والمتعلمين – الذين اهتموا بالتأريخ لأنفسهم، فحققوا بذلك إنجازات ثقافية كان لها من المناعة ما مكَّنها من الصمود أمام غوائل الزمن والبقاء إلى اليوم[٩]. وهو أمر حتَّم علينا النَّبْشَ في جملة من المصادر والمراجع التاريخية والدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية؛ لما لها من دور في تنميط سلوك الأفراد والجماعات، بل هي في أحيان كثيرة تمثل

خزانًا أيديولوجيًّا يستقي منه الفاعلون تصوراتهم. الأمر الذي أفرز مواقف متضاربة في التعامل مع شريحة المشتغلين بالنارنجيات إيجابًا وسلبًا، يمكن رصدها في إطار المعادلة الثنائية: (مشتغلين ومستفيدين).

رسالة «النارنجيات» أو «النيرانجيات» تَهتم بظاهرة «الحِيَل»، التي لها قَبول عريض في حياتنا الشعبية إلى يومنا هذا.وعِلم الحِيَل اتخذ أَكثر مِن شَكلٍ في تراثنا الإسلامي، ويَنبع تَنوع أشكال هذا العلم في تراثنا الإسلامي لتنوع دلالات جذره في الاستعمال العربي، ومِنه بنى العلماء علومهم فاصطلحوا تسمياتٍ لَها مِن خِلال التنوع الاستعمالي عند الناطقين بالعربية.

أهل الحِيَل اصطلاحًا وتنظيمًا

اتخذ عِلم الحِيَل[١٠] أَكثر مِن شَكلٍ في تراثنا، ويرجع تَنوع أشكال هذا العلم؛ لتنوع دلالات جَذْره في الاستعمال العربي، ومِنه بَنى العلماء علومهم فاصطلحوا تسمياتٍ له مِن خِلال التنوع الاستعمالي عند الناطقين بالعربية. وبرجوعنا إلى المعجم العربي ظهر لَنا أن «علم الحِيَل» مُشتق من الجذرِ (ح.ي.ل) الذي يَدل على مَعانٍ مُتنوعة في الاستعمال العربي: ف«الحِيلَة» الحِذقُ، وجَودَةُ النَّظَرِ، والقُدرَةِ على دِقَّةِ التَّصَرُّف في الأُمُور، والقدرة على تذليل بعض الصعوبات، ووسيلة بارعة؛ تحيل الشَّيء عن ظاهره؛ ابتِغاء الوُصُول إلى المَقصُود والخديعة»[١١]. فهذه ثلاثة مَعانٍ للجذر (ح.ي.ل) – ومفرده (حيلة) – الذي اشتُقَّ مِنه العلم؛ بالجمع (علم الحِيَل)[١٢]. ولذلك جاء «علم الحِيَل» في التراث العربي على ثلاثةِ استعمالات أيضًا على أُصولِ استعمالها عند العرب، وهي:

أولًا: عِلم الحِيَل العلمي الذي يأتي من باب «الحذق ودقة النظر والتصرف في الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات على النِّسَب الهندسية، كدوران الساعات وجرِّ الأثقال[١٣].

ثانيًا: علم الحِيَل الذي جاء بمعنى الوسيلة البارعة التي تُحيل ظاهر الشيء ابتغاء الوصول إلى المقصود، وهو الذي استُغِلَ في إنشاء «علم الحِيَل» في الفقه، والمعروف عند أغلب العلماء ب«الحِيَل الشرعية»(١٤). ومِن أشهر الذين أَلفوا في هذا الموضوع الشيخ أبو بكر بن عمر المعروف بالخصَّاف الحنفي (ت٢٦١هـ)، فله كتابٌ أسماه «كتاب الحِيَل»(١٥).

ثالثًا: علم الحِيَل الذي استثمر المعنى الثالث لدلالة (حيلة) في الاستعمال العربي(١٦)، والذي أريد به الخديعة(١٧)، والذي يَعتني بحِيَلِ بعض الحذقة في أُمورٍ كثيرة أبرزها إدخال البيضة في الزجاجة، أَو إلقاؤها في النار ولا تحترق، وإخفاء الخواتم، وألعاب القداح...إلخ. والخفة في كل أمر. ويُعطينا قامُوسُ «المُغنى الأكبرُ» مُسمياتٍ شعبيةً؛ مثل «كلا كلا»، و«زرق»، و«التنوير»(١٨). ونجدُها في معاجم اللغة باسم «الشَّعْبَذة» و«الشَّعْوذَة» وهي خفةُ اليد، ومَخارِيقُ وأُخَذٌ كالسِّحْرِ يُرى الشيءُ بغير ما عليه أصْلُهُ في رأي العَيْنِ(١٩)، أي: القيامُ بعملياتٍ من أجل خداع المشاهدين وإبهارهم؛ إذ يقُومُ المشَّعْبِذ بأعمالٍ تُظهرُ الشيء للمُشاهدين على غير ما هو عليه في الواقع؛ ومرجعُ ذلك إلى خفةٍ في اليد»(٢٠)؛ لأنه فنٌّ قُوامُهُ إيهامُ النظارة بقدرة صاحبه (أي المشَّعْبِذ) على اجتراح كُلِّ ما هو مُعجزٌ أو مُستحيلٌ.

وأعمالُ النارنجيات لا تقتصرُ على الحِيَل البسيطة، التي تصطنعُ في أدائها المناديل وورق اللعب أو الشدَّة، بل تعدُو ذلك إلى إظهار قُدرة المشَّعْبِذ على احتزاز رُءُوس الحِسان بالمنشار، ثُم إعادتهم إلى الحياة من جديد. ولا يستعينُ المشَّعْبِذ على أداء حِيَله هذه بخفَّةِ اليدِ وحْدَها؛ إذ يتعينُ عليه تحريك يديه بسرعةٍ فائقةٍ؛ تنخدعُ معها عُيُون النَّظارة – بل يستعينُ أيضًا بعلم النفس، وبأدواتٍ مُعدَّة بطريقةٍ سرِّيةٍ تُمكنهُ من القيام بألعابه، وأُخرى غيرُ منظُورةٍ، يستخدمُها في غفلةٍ من الناس(٢١)، وهو ما ألمح إليه ابنُ دانيال الموصلي (ق٧هـ) في **طيف الخيال** على لسان شمعُون المشَّعْبِذ بالقول: «خُذ بالعُيُون لا ينصرفُ القائمُون، ولا القاعدُون»(٢٢). ونجدها عند

السبكي مصنَّفة ضمن التخييلات والأخذ بالعيون، وسماها «الشَّعْبَذة المخيِّلة»؛ لسرعة فعل صانعها برؤية الشيء على خلاف ما هو عليه[٢٣] وتدخُل في باب الهـزْل[٢٤]، وما إلى ذلك مما سنقف على بيانه، ومظاهره في هذه الدراسة.

أقسام علم الحِيَل ووسائله

وصف الزرخوني علم الحِيَل بأنه من أظرف الفنون وأغربها وأن أصله قائم على الخفَّة والرشاقة[٢٥]، وهو فن له أصناف رئيسية منها: كشف الغيب[٢٦]؛ الدَّك[٢٧]، الحشيش[٢٨]، بني ساسان[٢٩]، الشعوذة[٣٠] أو الشَّعْبَذة[٣١]، **والقسم الأخير – موضع الدراسة – يعتمد على إيهام الناس بالقيام بالخوارق**، عن طريق تسخير بعض قوانين الطبيعة أو الإيهام بأشياء غير حقيقية بالاستعانة بمؤثرات وأدوات وأعوان، ويدخلُ من ضمنها ما يُقابلُه ما **يُعرفُ بألعاب الخفة، التي هي من عُرُوض السيرك**، وحِيَل الحُواة والخِدع السحرية[٣٢]، والتي أصبحت مُنذُ القرن الثامن عشر فنًّا، يُحاطُ أصحابهُ بهالةٍ من التقدير والإعجاب[٣٣].

له أقسام، **الأول** منها يسمى: «**العفر**» **(الإخفاء)**، وهو خفة الدَّك والرشاقة في اللعب **باليدين فقط**، والقسم **الثاني** يسمى: «**المشاتين**»، وهو يعتمد على **اليدين مع استخدام أدوات** مجهزة عند اللاعب[٣٤]. وهي حِيَل مقبولة مسلية مدهشة؛ وما يحصله القائمون بها من كسب يدخل في باب الأجرة أو العطاء الطَّوْعي. ووصفهم الجوبري بأنهم أصلح من جميع الطوائف؛ لعدم تعرضهم لدماء الناس[٣٥]، وكل شيء يعملونه للتسلية فقط، وبعد ذلك يرجعون إلى المروءة ومكارم الأخلاق والناس يعلمون بهذا[٣٦]. **وهذان القسمان يمثلان الجانب المضيء للنارنجيات.**

أما الفئة **الثالثة** فهم يمثلون الجانب المظلم من الشَّعْبَذة، ويعرفون باسم «**أصحاب الكاف**» وهي الكيمياء، وهذه الطائفة أعظم الطوائف تسلطًا على أموال الناس ويحتالون عليهم **بخفة اليد والدَّك بأدواتهم والكيمياء** معًا[٣٧]، ويَزْغَلون[٣٨]، ويعفرون، فيَدُكُّون[٣٩]. وهم مَهَرة في صَوْغ الكلام، وقد كشف الجوبري في أثناء

مخالتطتهم عن ثمانمائة باب لهم في الحِيَل والدَّك، وأشار إلى تعدد وسائل الاحتيال وتطورها، وتنوع مداخل المحتالين بما لا يقع تحت حصر(٤٠). والواصل منهم دكاك، ولو علم شيئًا من يقين لما أطْلَع عليه أحداً، وليس له حاجة إلى الخلق أجمع؛ لأن الذي يريد قد حصل له(٤١).

وثمة ملحوظة أساسية بالنظر إلى هذه المصطلحات، وهي أن أغلبها يعكس الموقف الذهني المحدد تجاه هذه الجماعات أطلقت عليهم لتوصيف أفعالهم، وغالباً ما عكست تصورات الفئات العليا في قمة الهرم الاجتماعي للنظر إليهم كجماعات هامشية منبوذة اجتماعيًّا ارتبطت نسبيًّا بحالة إحباط من البطالة والفقر والإحساس بالدونية، أدى بها إلى الانسحاب، واتخاذ سلوك الرفض من المجتمع النابذ لها.

شروط عمل الحِيَل

أكد الإسكندراني(٤٢) في كتابه «الحِيَل البابلية للخزانة الكاملية»، على ضرورة كتم أسرار هذا العلم عن عامة الناس(٤٣)، وذكر أن حِيَلًا كثيرةً للمحتالين تعتمد على خفة اليد ذكرها في كتابه الآخر الذي ألفه للخليفة الناصر العباسي بعنوان «موضع أستار الكُلل وفاضح أسرار الحِيَل»(٤٤).

وبجانب حركة اليد الخفيفة، والأخذ بالبصر(٤٥) والرشاقة(٤٦). يجب أن يتصف بطلاقة اللسان أو ترديد توليفة مبهمة من الكلمات السحرية، الهدف منها تغشية أبصار المشاهدين لتمرير حيلته دون أن تتكشف. كانت تستخدم من ناحية لإطالة المدة، ومن ناحية أخرى لنيل التصديق والإعجاب(٤٧).

إضافة إلى ضرورة حضور بديهة اللاعب، وإتقان حِيَله وألعابه، وعدم تكليف نفسه بما لا يستطيع، والاستعانة بمساعد قدر الإمكان، ومعرفته بخواصِّ المواد من جماد أو حيوان أو نبات. إذ يشير صاحب «الحِيَل البابلية» إلى ضرورة معرفة اللاعب «بأجناس الفتائل والأدهان، واختلاف ما ينتج منها من الألوان، وتعليل ما

يُسأل عنه من الظاهر والخفي، والمستور والجلي، وامتحان الخواص قبـل الـذكر، وصدق الكلام بعد الفكر، ومعرفة ما يُغش من جميع البضائع، والدخول فيما يـذكره بإتقان»(٤٨).

وأضاف الطُّوخي إلى شُرُوطَ عَملِ الحاوي المتخصص في ألعاب الخفة قولَه: «أَغلب أَلعابُ الحاوي مُتَوقفة على نَشاطه في العَمَل، وخفةٍ في الحركـة، وسُـرعةِ أَنامله في الأخذ والرد؛ بحيثُ لا تَرمُقه الأَحداقُ المحدقة به، وإلَّـا ظَهـرت حِيلُـه وانفضحَ أَمرهُ»(٤٩).

وعدد لنا الطوخي المهارات المساعدة على نجاح عمله منها: «وأَعظمُ وسيلة للحاوي في كَتم سِره؛ ثَرثرة اللسان بحكاياتٍ يَحكيها، أو مضحكات يرويها، وهَزليات يَبثُّها، يَستلفت بِها إلى مِنطقة الأسماع؛ فتَصرفُ عن أَنامله الأَبصارَ فيفعلُ ما شـاء، كما يشاء في غَفوتها؛ ولذلك تَراه لا يَعقب لعبةً بما يَقرُبها شكلًا، أو يُشابهها عملًا إلا نادرًا، ولا يُبين مَوضعها قَبل إجرائها، ولا يُعيدها بعدَ تَنفيـذها، وإن اضـطر إلـى إعادتها لإلحاحٍ أو رجاءٍ؛ أَعادها، ولكن بطريقةٍ أُخرى؛ مخافةَ أَن تَشخَص لأَنامـلِه العيون، وتَنحصر فيها الأفكار»(٥٠).

ويبدو لنا مدى مهارة اللاعبين من إعجاب الجوبري بما يعملون بقوله: «وهذا من أجل النواميس المِلاح التي تذهل العقول». ولم يمنع ذلك انكشاف بعض حِـيَلهم، يقول الجوبري: «ولولا [أنني] قد رسمت نفسي أني منهم لـذكرت لهـم أمـورًا لا تكيف»(٥١).

ووجه الطوخي نَصائحه لعامةِ الناس حتى لا تقعَ في فِخـاخِ هـذه الألعـاب بقوله: «فَعلى مَن يُريد الاطلاع على حَقائقَ ما يَنفثه مِن السحر الحَلال؛ أَلَّـا يَهـتم بقوله، وأَن لا يَصرفُ العينَ عن أَنامله، ولا طَرفةٍ واحدةٍ. فإنه لِتعـودهِ قَـد يُخفـي الشيء أَو يُظهره بيده في أَقل مِن لمحِ البصر»(٥٢).

تنظيم أهل الحِيَل

عرفت دولة سلاطين المماليك تنظيمات طوائف أرباب الحِرَف؛ وانتظام أرباب كل حرفة تحت رئاسة شيخ، أو ما يُطلق عليه اسم «القيِّم»[٥٣]. وكانت أهم وظائف «القيِّم» هي رعاية شئون أصحاب الحرفة ووضع وصيانة أصول هذا العمل، ويكون حلقة الوصل بين الدولة والطائفة أو الجماعة[٥٤].

وبرغم صمت المصادر عن فكرة التنظيم الطائفي للمشَّعْبِذين من أرباب الحِيَل، إلا أن ذلك لم يمنع وجود هذا التنظيم الذي كان من سمات العصر، ووجد في كثير من الحرف في تلك الفترة؛ إذ نجد إشارات في بعض المصادر عن ضمان أرباب الملاعيب، وهي ضريبة كان يدفعها المحترفون للألعاب المختلفة إلى ضامِن يُقال لَهُ «كمجتي»[٥٥]؛ لقاء ممارستها – يدخل في أرباب هذه الملاعيب: الحواة وأرباب الدَّك، والمشخِّصون، وأرباب خيال الظلِّ، وملاعب الكلاب والحمام والقردة، وأرباب اللعب بالعصا والرمح والكرة، وغير ذلك من **أَنْواع اللَّعب**[٥٦]. ونجد إشارات إلى استمرار الضريبة حتى القرن الحادي عشر الهجري مع تغير اسم الضامن إلى «أمين الخردة»[٥٧]؛ لأن ما يتحصل مِن هؤلاء مِن المال، ولو كان خردة من الفضة، كان خاضعًا لحكم كاتب أمين الخردة وأمره[٥٨].

ثمة إشارة نجدها عند أحد أرباب هذه الصناعة على وجود شيخ يأخذون عنه فنون الحِرفة فيقول: «اطلبوا شيخ الحكمة ولو لم يكن تقيًا» فقد أخذوا العهد على أنفسهم بذلك ليحملوا الطالب على أخذها من أربابها[٥٩]، كما عاهدوا أنفسهم على عدم كشف أسرارها[٦٠] وألا يعطوها إلا لمن يكون أهلًا لها[٦١]، وهم في ذلك يضعون شروطًا على رأسها شيخ الحرفة، يقول التِّلِمْساني: «ولا بد من شيخ يريك شخوصها، لتفريقها بالعين والاسم أقطعُ، وإلا فنصف العلم عندك حاصل، ونصف إذا حاولته يتمنعُ»[٦٢].

والغالب أن الحرفة كانت تضم أعوانًا يساعدون أرباب الحِيَل من المشَّعْبِذين، أو يشتركون معهم في عمل الحيلة(٦٣)، فهم مشَّعْبِذون تحت التمرين من الجنسين: ذكور أو إناث(٦٤)، ومن أجل اكتساب الحرفة كانت المهارة الحرفية تنتقل بواسطة التعليم؛ إذ لا بد من الدراسة النظرية والمشاهَدة والمعاينة في غالب الأحيان(٦٥).

وتطالعنا المصادر بأن المهارة الحرفية المكتسبة بالتعلم ومداومة العمل، فضلًا عن طول التجربة والأسفار، أفسحت للبعض المجال إلى إمكانية الارتقاء داخل الصف الحِرفي(٦٦)، وكان من شروط الشيخ المعلم أن يتميز بملكيته للخبرة والأدوات والإتقان لكثير من الصنائع والحِيَل، كالشيخ شهاب الدين أحمد بن الفيل أستاذ الزرخوني المصري ومعلِّمه(٦٧)، والشيخ أبي الخير أستاذ الجوبري، وكان من الواقفين على هذا الفن في النصف الأول من القرن السابع الهجري(٦٨). فالتدريب والتجربة ضرورة ملحَّة لمن أراد أن يترقَّى في هذا العلم، مما جعل الجوبري يصاحب المدَّعين ويعاشر المحتالين، وما سمع بصاحب طريقة أو حيلة جديدة إلا قصده وتفحَّص أحواله وسلك الطريق معه(٦٩).

والواضح أن العلاقة التي كانت تربط الشيخ مع أُجَرائه أو صبيانه لم تكن علاقة صراع وتناحر بحكم وضعهم الطَّبقي المتردي، ولكنها كانت علاقة تهدف إلى التعاضد والالتحام داخل الحرفة تسمح للتلميذ أن يُهدي مؤلفاته لشيخه وأستاذه الذي أخذ الحرفة عنه، معترفًا بفضله، ولم يكن هذا يمنع أن يتقبل التلميذ من شيخه الرأي والنقد والتوجيه(٧٠). ولم يمنع ذلك أن يتقاضى الشيخ من صبيانه بعض المال، ويرضى من الصاحب بالقليل(٧١) لقاء تدريبه وإطْلاعه على أسرار الحرفة. وقد يكون مع الشيخ أكثر من مساعد كالشيخ سليمان الحجازي الذي كان يساعده ثلاثة(٧٢). كما خضع له الجوبري(٧٣) نفسه عن طريق الربط(٧٤).

والواضح أن الحرفة لم تَقتَصر على الرجال وحْدَهم؛ بل كان للنساءِ نصيب في الشَّعْبَذة والحِيَل السحرية، وهو ما قَرره «صربعر» – أَحد شخصيات بابات خيال

الظل لابن دانيال – في سياقِ حَديثِه عن سيدة: «كانت بمصر، عارفة بالشَّعْبَذة، وأعمال الكيمياء وأنواع السيمياء»(٧٥). ووصفَهُم «الجوبري» بقوله: «النساءُ أَكثرُ مَكراً وحيلًا من الرجالِ، وخَصص باباً في كِتابِه «المختار»؛ لِعرضِ طُرقِ حِيلهِن ومكرِهن في أَلعابِهن تحتَ عُنوان «في كَشف أَسرارِ النساءِ، وما لهن من المكرِ والحِيَلِ والخداعِ»(٧٦). وأشار أبو شامة في «الروضتين» إلى مشَّعْبِذ مغربي ذهب إلى حلب وأدهش الفلاحين بِما يُرِيهم من الشَّعْبَذة والتخاييل وهوِيَ امْرَاَة وعلَّمها حِرفته(٧٧) وكادت نَزعةُ الفُضول لدى أحد ولاة قوص أن تُودِي بحياتِه؛ حين طلب من إحدى المشَّعْبِذات، التي قُبض عليها، أَن يُعاين شيئًا من أَلاعيبها، وكانت بارعة(٧٨).

موقف السلطة السياسية والدينية من المحتالين

يبدو أن هذه الطائفة كانت ملجمة في أغلب الأحيان من قِبَل السلطة السياسية والتي كانت تراقبهم عن طريق المحتسبين، وقد اهتمت كتب الحسبة بحصر أنواع الغش والتدليس التي استفحلت في هذا المجال، ونظرت إلى أصحاب هذه الحرفة بعين الشك والريبة(٧٩)، ودعت الحاكم والمحتسبين إلى قطع دابرهم(٨٠)، ومنْع النَّاس من الوقُوف عليهم(٨١)، وقد تعددت تعليمات السلطة لهذه الطائفة بين الحين والآخر، والتي كانت تصدرها كلما جَدَّ جديدٌ يستلزم ذلك؛ مثلما حدث في أيام الملك الكامل شعبان بن الناصر وأعاد «ضمان أرباب الملاعيب»(٨٢)، ثم تعرضوا للتضييق في عهد الملك المظفر حاجّي وتم «منع أرباب الملاعيب جميعهم»(٨٣)، ثم ما لبث مرة أخرى أن «أعاد أرباب الملاعيب.. ونوديَ بإطلاق اللعب بذلك بالقاهرة ومصر»(٨٤)، وفي سنة ٧٤٤هـ نوديَ بإبْطال جَميع الملعوب(٨٥)، وفي سنة ٧٤٦هـ نُوديَ بالقاهِرَةِ ومصر ألا يُعارَض أحد من أرباب الملاعيب.. فتزايد الفساد وشَنُع الْحال(٨٦).

وعلى ذلك كان السماح بمثل هذا النوع من الألعاب وما صاحبه من مفاسد، وعدم الاعتراض عليه عنصراً رئيسيًّا في إشاعة روح الاضطراب والبلبلة داخل المجتمع، وكان التساهل الحكومي عاملًا مساعداً على إثارة أسباب الفساد والتطاول على حقوق الناس في ظل سلطة تشجع تلك الألوان من اللعب غير البريء والإذن الكامل للجميع لعمل ما يرغبون(٨٧)، ليظهر دور جماعة المنتفعين من النزعة السلطانية المتطرفة للهو واللعب السيئ، حيث اشتط هؤلاء في كسب الفائدة الشخصية، حتى لو كان في ذلك مضرة طائفة من المواطنين(٨٨).

ورغم نشاط الفتوى والمفتين في مصر والشام، وإبداء آرائهم الصريحة حول ألاعيب وحِيَل المشَّعْبِذين فإن تلك الآراء وُجدت دون أن تكون للفقيه سلطة إكراه تجعل أحكامه نافذة، فالفقيه حاضر كمرجع لكن سلطته عمليًّا في مواجهة المشَّعْبِذين تبقى من اختصاصات المحتسب الذي يمثل السلطة(٨٩).

ومما يسترعي الانتباه اختلاف الفقهاء وتباينهم حول تحريم أو إباحة هذا النوع من الحِيَل؛ بسبب اختلاف مفهوم وتعريف حِيَل الخفة بأنواعها بين الفقهاء(٩٠)؛ إذ أدرج النديم (ت٣٨٥هـ /٩٩٥م) ممارسي الحرفة مع السحرة(٩١)، وألمح «ابنُ خلدون» لهذا الرأي بقوله: «جعلت الشريعةُ باب، السحر والطِّلَّسْمات والشَّعْبَذة، بابًا واحداً؛ لما فيها من الضرر، وخصَّتْه بالحظر والتحريم»، وعلةُ ذلك عنده هي أن «أثرَهُما واحدٌ... فيها نوع ضرر، باعتقاد التأثير؛ فتفسدُ العقيدة الإيمانية؛ برد الأُمُور إلى غير الله... فإن من حُسن إسلام المرء تركهُ ما لا يعنيه»(٩٢).

وبالجملة أنكر الشيخ بدرُ الدين الحنبلي البَعْلي (ت٧٧٧هـ) مُعتقدات أهل الدولة «المماليك» في الشَّعْبَذة والسحر، وقبيلهُ من اعتقادٍ. وقالُوا بتحريمه؛ لما فيه من رد الأُمُور إلى غير الله. فلم يُحرمِ اللهُ شيئًا إلا وكانت مفسدتُهُ أكبرَ من منفعته(٩٣).

وأورد الونشريسي (ت٩١٤هـ) فتويين متناقضتين مفادهما: «سُئل ابن أبي زيد القيرواني، أبو محمد (ت٣٨٦هـ /٩٩٦م) عن هؤلاء الذين يجلسون في الطرقات، ولهم مَلاعبُ يظهرون للناس أنهم يقطعون رأس الإنسان[٩٤]، ثم يَدْعُونه فيُجِيبهم حيًّا، ويجعلون من التراب دراهم ودنانير، ويقطعون السلسلة، فهل تراهم بهذا الفعل سحرة؟ فأجاب: إن لم يكن فيها كفر فلا شيء عليه وهذا إنما خفة يد ملاعب»[٩٥].. وقيل: وكان الشيخ أبو عبد الله بن عرفة رحمه الله (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م) يقول في الحركات العجائب: «إنها من عمل السحر»[٩٦]. وأضاف ابن حجر: «هَـؤُلاءِ في معنى السَّحَرَة، إنْ لم يَكُونُوا سحرة فَلا يجوز لَهُم هذه الْأَفْعال، ولا يجوز لأحد أَن يقف عليهم»[٩٧].

وممن ميزوا بين السحر وألعاب الخفة: «الباقلاني» بقوله: «السحرُ.. إنما هو تخيلٌ وتمويهٌ، على نحو سحر سحرة فرعون، أما ما يعملُهُ المشَّعْبِذون فهو نُوعٌ من الحيلة والخفة.. وضربٌ من النارنجيات[٩٨] والشَّعْبَذة»[٩٩]. ثم اتفق معه تاج الدين السبكي[١٠٠]، ووافقهما الرأي ابنُ كثير الدمشقي[١٠١] في سياق تقسيمه السحر إلى أصنافٍ ثمانية[١٠٢]، منها: سحرُ الشَّعْبَذة، والأخذُ بالعُيُون[١٠٣]، وإذهالُ الناظرين، مع الاعتماد على السرعة الشديدة، إضافةً إلى سحر الأعمال العجيبة، القائمة على استخدام خواص المواد، واستغلال تركيب الآلات الخاصة، بنسبٍ هندسيةٍ خاصة.

واستشهد ابن كثير بما ذكرهُ المُفسرون في قصة سحرة فرعون؛ حيث عمَدُوا إلى حبالهم وعصيِّهم، فحشَوْها زئبقًا، وجعلُوا من أسفلها حرارةً خاصةً؛ فصارت تتلوى، بسبب ما فيها من ذلك الزئبق، فخُيل إلى الرائي أنها تسعى، وتتحركُ باختيارها[١٠٤]. وأيد القنوجي[١٠٥] في «أبجد العلوم» رأي ابن كثير.

وممن أباحها السقطي (ت٥٠٠هـ /١١٠٧م)، لكن بشرط أن تتم ممارستها في الشوارع السالكة أو حيث يجتمع الناس[١٠٦]. وممن حرمها ابن عبد الرؤوف بقوله: «وكذلك يمنع أهل التخييل الذي يظهر أنه يفعل شيئًا من غير فعله، ويخيل به، مثل النواريج وقلب العين وما أشبه ذلك، وهو من باب السحر»[١٠٧].

وأكد طاش كُبري زاده في «مفتاح السعادة»: «أن علم الشَّـعْبَذة لـيس مـن السحر في شيءٍ، لكنه لشبهه به في رأي العين؛ جعلناهُ من فُرُوعه[١٠٨]، ولا تخلُـو الشَّعْبَذة من مهارةٍ، ومُحاولةٍ للتسلية أحيانًا»[١٠٩].

وكان تداخُل الحُدود بين السحر والشَّعْبَذة؛ كفيلًا بإنهاء حياة صاحبها، أو الزَّج به في السجن، في حال رغبة الحاكم التضييق على صاحبها[١١٠].

الحركة التاريخية للمحتالين

كنت أتصور أن حِرفة الحِيَل وجماعات المحتالين يرتبطون بظروف الحَراك الاجتماعي الذي حدث في عصر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ، الذي ذكر أن له كتابًا يسمى «حِيَل المكْدِين»[١١١]، ولكن إعادة قراءة التراث العربـي تؤكـد أن الظـاهرة ترجع بجذورها إلى أزمان بعيدة، ولكنهـا نمـت وتطـورت وتسـارعت وتيرتهـا ومعدلاتها في مصر وبلاد الشام إبان حكم دولة سلاطين المماليك، التي كانت قبلـة للوافدين أو اللاجئين السياسيين الذين نزحوا عن أوطانهم لأسباب عدة، وقدموا إلـى هذه الدولة طلبًا للأمان[١١٢] كابن دانيال الموصلي الذي قدم لنـا صـور المحتـالين المختلفة باختلاف أبعادها الثلاثة: البيولوجية (المادية أو الحسـية)، والسوسـيولوجية (الاجتماعية)، السيكولوجية (النفسية)، في القرن السـابع الهجـري/ الثالـث عشـر الميلادي، من خلال كتابه «طيف الخيال». ومن الواضح من البابات أن هذه الفئـات الاجتماعية الخدمية لم تكن هامشية فـي حيـاة المجتمـع فـي عصـر السـلاطين المماليك[١١٣].

فالحرفة التي تدور حولها الدراسة «أصل تصنيفها وخروجها من العجم، ثـم تعلمها أبناء العرب فعملوها أحسن من أولاد العجم، وزادوا فيها أشياء كثيـرة»[١١٤]. وعُرفت بمسميات عدة في كتب التراث، منهـا: المخـاريق، البهلوانيـات، الـدَّك، والنيرنجات، والشَّعْبَذة والمشاتين[١١٥]. وأشـار الجـاحظُ (٢٥٥هـ /٨٦٩م) إلـى أن مُسيلمة بن ثُمامة بن كثير بن حبيب الحنفي قبل انتحال النبوة، كان أشهرَ من اشتغلُوا بهذه العُلُوم[١١٦]، وكان يعرف شيئًا من الشَّعْبَذة والنيرنجيات[١١٧].

كان مسيلمة يطُوفُ «في الأسواق التي كانت بين دُور العجم والعرب، يلتقُون فيها للتسوق والبياعات، كنحو سُوق الأُبُلَّة، وسُوق لقهُ، وسُوق الأنبار، وسُوق الحِيرة... وكان يلتمسُ تعلم الحِيَل والنيرنجات، واختيارات النجُوم والمتنبئين. وقد كان أحكم حِيَل السدنة[١١٨] والحواء[١١٩] وأصحاب الزجر[١٢٠] والخط[١٢١] ومذهب الكاهن[١٢٢] والعياف[١٢٣] والساحر، وصاحب الجن؛ الذي يزعمُ أن معهُ تابعهُ»[١٢٤]. وأشار إلى ما كان يقُومُ به من حِيَلٍ؛ مثل إدخال بيضةٍ في قارُورةٍ ونتف ريش حمامةٍ، ثُم إعادته وجعلها تطيرُ، وصُنع طائرةٍ ورقيةٍ تُصدرُ صوتًا، وإطلاقها إلى الجو بالليل لإيهام قومهُ بنُزُول مَلَكٍ عليه[١٢٥].

وتحت عُنوان «الكلامُ على الشَّعْبَذة والطِّلَّسْمات والنيرنجات»: «أشار النديم إلى أن: «أول من لعب بالشَّعْبَذة في الإسلام «عبيدُ الكيس»، وآخرُ يُعرفُ ب«قُطب الرحا». ولهُما في ذلك عدة كُتُبٍ؛ منها كتاب «الشَّعْبَذة» ل«عبيد الكيس»، كتاب «الخفة والدَّك[١٢٦] والقف» ل«قُطبالرحا»، كتاب «بلع السيف والقضيب والحصى والسبج[١٢٧]، وأكل الصابُون والزُّجاج»؛ والحيلةُ في ذلك كتاب «المخرقة» لعبيد الكيس، وآخر «مَن رأينا ممن يلعبُ بالخفة منصُورا بالعُجب»[١٢٨].

أشار الجوبري إلى رجل بعد النبوة يُعرف ب«نجدة بن عامر الحنفي الخارجي» كان خبيرًا بالمخيلات، فأراهم المخْرَقات[١٢٩] كما ظهر في خلافة أبي العباس عبد الله السفاح رجل يُعرف بإسحاق الأخرس، فتن الناس بمعرفته بالمخيلات[١٣٠]، وفي خلافة المأمون ظهر رجل يُعرف بعبد الله بن ميمون بن مسلم بن عَقيل أرى الناس المخاريق من النارنجيات، فأخرق عقولهم وارتبطوا عليه إلى عصر الجوبري (ق٧ هـ)[١٣١]. وفي خلافة المعز لدين الله أبو تميم الفاطمي في تنيس بالديار المصرية ظهر رجل عمل النارنجيات والحِيَل[١٣٢]. وفي دمشق عهد الملك العادل أبي بكر بن أيوب ظهر رجل يُدعى «المفقود» كان يُظهر الثمار في غير أوقاتها بالحيلة[١٣٣]. كما ظهر في الإسكندرية سنة ٦١٥هـ رجل كان عالمًا بالحِيَل

يُعرف بأبي الفتح الواسطي شاع ذكره بمصر ومـات سـنة ٦١٩ هـ مخلفًـا ثـروة عظيمة(١٣٤) تدل على أرباح هذه المهنة في مجتمع يسوده الأمية والجهل. ودراسـة المعتقدات المتعلقة بهذه النماذج التي اتَّشحت بلباس الدين والوقوف على آليات عمـل العقلية الشعبية تجاههم يوفر فهمًا أعمق لهوية المجتمع وخصوصيته يومئذ.

المحتالون في إطار الممارسة الدينية والسياسية

لطالما كان هناك اتفاق على أن الوهم مكوِّن من مكونـات السـحر بمعنـاه الأوسع. وقد تجاسر العديد من كُتاب عصري الأيوبيين والمماليك وخاطروا بإبـداء آرائهم في هذه الحِيَل بسبب انزعاجهم من تسلط العديد منهم علـى أمـوال النـاس وخداع العوام وأخذ بعضهم على عاتقه المهمة غير الهينة لتعلُّم خدع هـذه المهنـة؛ بحيث يؤديها كما يؤديها العديد من السحرة المتجـولين الـذين يجوبـون الأسـواق والاحتفالات، ولكن بعضهم شعر بوَخْز الندم على كشفه ألاعيبهم واعتـراض سـبيل عيش هؤلاء المساكين بذلك، مثل الجوبري الذي سوغ لهم الحيلـة بسـبب الحاجـة فيقول: «ومع ذلك فإن الإنسان إذا احتاج احتال»(١٣٥). إلا أنـه أنـزل وابلًـا مـن الازدراء والإساءة بمن كانت في رأيه مجموعة المحتالين الرئيسية الأخرى، قاصـدًا بها مجموعة تتسربل برداء الدين والنبوة والمشيخة والوعـاظ، وراق للعديـد مـن الكُتاب الذين كتبوا في أسرار هذه الحِيَل أن يوضحوا كيف يستخدم المنتسبون للـدين الحِيَل وخفة اليد والنارنجيات والتخييلات؛ كي يدعمان الإيمان بهم(١٣٦).

واستهل أغلب مَن كَتب في كشف أسرار حِيَل الشَّعْبَذة بفصول وأبواب علـى شاكلة «في كشف أسرار الذين يدعون النبوة»(١٣٧)، ويليه فصل بعنوان «في كشـف أسرار الذين يدعون المشيخة وأصحاب النواميس والفقراء والمشايخ»(١٣٨)، وفصـل بعنوان «في كشف أسرار الوعاظ»(١٣٩)، ولم يقتصر الأمر على كشف هذه الفئة من المسلمين فحسب، بل راق للكُتاب أن يوضحوا كيف يستخدم رجال الكهنوت المسيحي الخدع لحمل الناس على تصديق ما يمارسونه من طرد للأرواح الشريرة أو إظهـار

لقناديل النور في الكنائس والأديرة كي يدعموا الإيمان بمفهوم التطهر الذي يُدِرُّ على الرهبان ورجال الكهنوت المال الوفير. فأفرد الجوبري فصلًا بعنوان «كشف أسرار الرهبان»(١٤٠) وفصلًا آخر خصصه لأحبار اليهود وما يقومون به من حِيَل لترسيخ الاعتقاد بقدراتهم بعنوان «في كشف أسرار اليهود وفعلهم»(١٤١).

وأَحيانًا كانت هذه الحِيَل وسيلةً لكسب الطاعة والتأييد المذهبي أو السياسي؛ مِثلما انقاد بعض (الإسماعيلية)(١٤٢) إلى راشد الدين سنان: وهو رجلٌ.. مِن البلاد الشامية... وكان رَجُلًا صاحبَ حِيَل وسيمياء، فأراهم بالسيمياء ما أَضل بِه عُقولهم: مِن تَخييل أَشخاصِ مَن مات مِنهم على طاعة أئمتهم في جنات النعيم»(١٤٣)، وكان انكشاف حِيلَةِ أَحد المحتالين المشتغلين بهذه الحِيَل؛ كَفيلًا بأَن يَهدم أُسطورته التي صنعها لنفسه؛ مِثلما حَدث مَع رَجلٍ يُدعى «ابن الشيباش»، اعتقد أهله فيه وفي أهل بيته، «وكان له نارنجيات انكشفت لبعض أَتابعه، فَفارقوه وبين للناس أمره»(١٤٤). وأشار الذهبي إلى رجل نصَّاب التفَّ العامة والخاصة حوله وكان متحيِّلًا بالشَّعْبَذة يُدعى أبا الكرم العجَمي الصوفي، توفي سنة ٦٣٧هـ(١٤٥).

وكانت براعة أحد المشَّعْبِذين في التخفي والحِيَل في عهد صلاح الدين الأيوبي كفيلة بإنهاء حياته؛ لاتهامه بالتجسس(١٤٦) بسبب التخوف من الصليبيين والاحتراس من جواسيسهم، في فترة الحرب مع العدو، إضافة إلى التخوف من جواسيس الموحدين في المغرب(١٤٧).

النظرة الاجتماعية للمحتالين

مما يسترعي الانتباه أنه بالرغم من الدور المهم الذي قام به المحتالون في المجتمع من تسلية وترفيه، إضافة إلى الحذق والبراعة الملازمين لهذه الحِيَل، وما يمتلكه صاحب الحيلة من مَلَكات ذهنية تصل به إلى حد الموهبة تتطلب ترويًا وتدقيقًا ذهنيًّا فإن أغلب الكتابات التقليدية تناولتها بأسلوب أقل ما يقال فيه إنه مثير للسخرية في نظر من يجهل طبيعة هذه الألعاب.

والشواهد عضَّدت هذه النظرة الدُّونية المشوبة بالازدراء لأهل هذه الحرفة بصفتهم محتالين وقوماً أشراراً، من الأوباش وأراذل الطوائف(١٤٨)، وحرفتهم من الحرف الدَّنية الوضيعة(١٤٩)، يغمرون القرى والأمصار بألسنةٍ حِدادٍ يستغلون سَذاجَة العامة والفلاحين(١٥٠)، ويسلبونهم بالفسق والفساد(١٥١)، بل ويعتبرونهم آفات ضارة يجب اجتثاثها(١٥٢) وأن يُخرجوا عن البلد ويؤدبوا حيث وجدوا(١٥٣)، ولا يليق أن يُعد ما يقومون به في العلوم(١٥٤). لأنهم ملعونون من الله ومن الناس أجمعين(١٥٥).

ولكنَّ هؤلاء المشَّعْبِذين كان لدورهم وجه آخر؛ إذ كانوا أحياناً مثل «شمعة في الظلام»؛ لأن عروضهم الفنية الجماهيرية كانت تتفوق على استنكارات الواعظين أو كتابات المشككين اليائسة(١٥٦) في فضح زَيْف الحِيَل وكشف الوهم، وهو ما عبَّر عنه «إخوان الصفا» بقولهم: «إن الشَّعْبَذة ليست شيئًا سوى سرعة الحركة وإخفاء الأسباب التي يعملها الصانع فيها؛ حتى إنه مع ضحك السفهاء منها، يتعجب العقلاء أيضاً من حذق صانعها»(١٥٧). وعدها اليوسي من أنواع الحكمة؛ لما فيها من الغرابة(١٥٨). وشرفها من الصناعة نفسها، فهي مثل صناعة المصورين والموسيقيين وأمثالهم(١٥٩).

فكانت ألاعيب المشَّعْبِذين ليست مقبولة فحسب، بل وجديرة بالثناء أحياناً؛ فهي دائماً ما تُعرب صراحة عن مكمن سر الحيلة، وبهذا يمكن كشف الحِيَل الأخرى الشريرة وغير المشروعة وفضح أمرها(١٦٠). وقد ذهب بعض النظار إلى أن معرفة هذه الحِيَل «فرض كفاية»؛ لجواز ظهور من يدعي النبوة، فيكون في الأمة من يكشفه ويقطعه(١٦١).

التمثلات الذهنية للمحتالين في الأدب الشعبي

شكل الأدب الشعبي جانباً مهماً من جوانب ذهنيات العوام الذين لم يكونوا عاطلين تماماً عن حاسة التذوق والإبداع، ويبدو بوضوحٍ لِمَن يُطالع السير الشعبية العربية التي راجت في عصري الأيوبيين والمماليك(١٦٢) لغرض الحث على

الجهاد[١٦٣] خلال أزمة تاريخية ودعم للذات خشية الانفراط والضياع[١٦٤]، ويجد أن الطبقات الشعبية أعجبت بهذه الحِيَل والخِدَع البصَرية والسحرية، ومالت إليها، واستمتعت بها، ولم تَقتصر هَذه الحِيَل، والخدع على قُدرات الجن التي تُؤهلهم للقيام بأي مُهمّةً تقريباً؛ كالتحول من حالٍ إلى حال، أَو تَبدل الحديد والنحاس إلى ذهبٍ، وحَمل الأثقال العظيمة، والإتيان بالكنوز المدهشة، بل نجد قُدرة هذه الحِيَل تَتعدى إلى قُدراتِ البطل الخارقة، التي تُؤهله لمحاربة جيوش كاملة، وإلى وجودِ أدواتٍ سِحْرية وخدعٍ وألاعيب؛ تُتيح للأبطال تَسخير الجن لخدمتهم، وتكليفهم بما يَشاءون من مهماتٍ[١٦٥] والتحايل على أعدائهم بهذه الألاعيب والحِيَل. ويبدو أن الخدع والحِيَل السحرية، كانت عادةً شائعة منشرة في المجتمع، وإن لَم يَكُنْ هُناك مشكلةٌ مَطروحة[١٦٦].

وتَعُج السير الشعبية عامة، وسيرة الملك سيف بن ذي يزن[١٦٧] خاصة، بأخبار السحرة وأحداثهم الخارقة، والمحتالين وحِيَلهم[١٦٨]. ونَجد لهم دوراً مُحورياً في أحداث السيرة فنَراهُم يُساعدون الجنود والفرسان، ويستخدمون عُلومهم وحِيَلهم للإتيان بالعجب العجاب، فالشعرةُ تَنقلب إلى حربةٍ أو سيفٍ، والرمل يَتحول إلى نحلٍ أَو قَملٍ، وهناك أبواب يُلقيها المشَّعْبِذون على بعضهم كباب الحرارة وباب النفاخ، وباب خفقان القلب والخوف، إلى أَن ينتصر أحد الساحرين والمشَّعْبِذين. فالحيلةُ والخدعةُ حدثٌ رئيسٌ ومؤسسٌ، وتَترتبُ عَليه نتائجاً مُهمةً، ويدهش بتفاصيله البديعة[١٦٩].

وأيَّد «الجوبري» هذه الأفكار المرتبطة بالحِيَل في كتابه «كشف الأسرار» في بابٍ بعنوان «في كَشف أَسرار أَهل الحراب وآلة السلاح»؛ خصصه للحديثِ عن الخدعِ والحِيَلِ في الحُروب وسوغ ذلك بقوله: «اعلَم أَن الحربَ تَحتمل جَميع ما يتعلق بالمكر والخداع والحِيَل، ويَجوز فيها جميعُ ذلك؛ لأنَّ الإنسانَ له أَن يُدفع الصائل عَليه بالقتلِ وبغيرهِ»[١٧٠].

أَما في سيرةِ بَني هِلال[١٧١] فنجدُ إلى جانب أخبار التنجيم والشَّـعْبَذة، ومـا يُصاحبها من حِيَلٍ سِحرية، مواقف عديدة عقلانية واضحة تَرفضهما وتَقول صراحةً: إنهما مِن الأَباطيل[١٧٢]، وكان الراوية أَكثر وضُوحًا في رَفـض الحِيَـل السـحرية، وأَكثر إقناعًا عندما قال: «السحرُ أَوهام يَتخيلها الإنسان حقائق، كمـا فَعـل سـحرةُ فرعون، وأَتو بالعصي والحبال وخُيِّلَ للناسِ أَنها أَحناشٌ، وحيَّاتٌ تَسعى، وهي حبالٌ وعصي»[١٧٣].

بَل نَجد رواة السير الشعبية العربية يُقدمون أحيانًا تَفسيرًا علميًّا لحِيَل راجـت في مجتمعهم، فيُشيرون إلى أن دُهن السمندل يَحمي من النار، وذلـك أَنَّ أَبـا زيـد الهلالي «اختلى بنفسه ثُمَّ أَحضر دهنَ السمندل[١٧٤]، ودَهن به جسمه؛ حتى إذا لمـس النار ما تؤذيه[١٧٥]... مستشهدًا بتجربة إبراهيم الخليل... إذ مَنَّ الله عليـه، وحـوَّل النار إلى برد وسلام، في حين أن النارَ أحرقت خصمه وقتلته»[١٧٦]، فهي حيلـة لا تعني أن القاص تخيلها، ورسمها، نتيجة شطحات ذهنية، بل إنما الأمر يتعدى الخيال، فهي منتزعة من الواقع. وهو ما فصله وكشفه ابن شُهيد الأندلسي في الباب السادس تحت فصل بعنوان «إذا أَردْتَ أَنْ تاخذُ النارَ بِيدِكَ فَلا تَحرقُـكَ»[١٧٧]، وكـذا عنـد الجوبري في كتابه (المختار) في فصل بعنوان «في كشف أسرار الذين يلعبون بالنار ثم يمنعون حريقها»[١٧٨].

لم تكن السير الشعبية وحدها هي التي شكلت المظاهر الكاشفة عـن ذهنيـة الطبقات الشعبية وتجاربهم اليومية ومواقفهم تجاه حِيَل الشَّـعْبَذة؛ إذ نجـد ظهـورًا للمشَّعْبِذين من خلال عدسة ليالي «ألف ليلة وليلة»، وبتفحصنا سماتهم سنلحظ وجود نمط محدد تتداخل فيه الغرابة والمعرفة السحرية المرتبطـة بالخديعـة والتضـليل واستخدام الكلمة الفارسية النَّارَنجِيَّات[١٧٩] التي تعني صناعة الوهم للتعبير عن فعـل السحر في «الليالي».

كما أن نفور الإسلام من المشَّعْبِذين واضح جداً في الحكايات من خلال إضفاء صفات شريرة على هؤلاء المشَّعْبِذين الأغراب(١٨٠)؛ ونجد في الليلةِ العاشرة بَعد السبعمائة صورة المشَّعْبِذ المسلم الذي يلتقي به الملك «باسم»، ويَتفوق على المشَّعْبِذة الكافرة «الملكة لاب»، وفي الوقت ذاته يُحدد موقفه الرافض للضرر بالشَّعْبَذة؛ فهو لا يَستعملُ حِيَل الشَّعْبَذة إلا لدفع ضررٍ أَو عند الضرورة القصوى(١٨١). لتبدو لنا «الأنا» المتفوقة للراوي المسلم مندفعة لتطبيق تعاليم الإسلام حتى في مجال حِيَل السحرِ والشَّعْبَذة(١٨٢). وصحيح أن هذه الشخصيات وصلت إلينا عن طريق الأدب، لكنها قدمت صورة دقيقة عن حِيَل الشَّعْبَذة، فمجرد تصوير حماقات المجتمع ونقاط ضعفه قد يمنحا في غياب المصادر التاريخية الدقيقة عدداً من التمثيلات الذهنية لأفكار الشَّعْبَذة التي احتضنها المجتمع(١٨٣).

المحتالون في إطار الممارسة اليومية

نجحت طائفة المشَّعْبِذين في استثمار ملَكاتها الذهنية في الحِيَل وخفة اليد والوهم والخيالات والتخيلات والصور، وإنزالها منزلة الإدراك الحسي عند الخاصة والعامة من الناس(١٨٤)؛ لتشق طريقًا لها في المجتمع رغم التحديات العديدة دينيًّا واجتماعيًّا، فأقبل الناس عليهم من الطبقات والشرائح الاجتماعية كافة، وصدقت أغلب الطبقات ما تقوم به هذه الطائفة أو هكذا أرادوا أن يصدقوا في محاولة لتغطية واقعهم بمرارته، وحَجْب صور الظلم والفاقة التي كانوا يعيشون في كنفها. فيقول الجوبري: «إن جميع الخلق تَرتبط عليهم، ويَصغُون إليهم وإلى كلامهم، ويَتصور لَهم الطمع في المال الذي يَلعب بعقول الرجال، وتُذعِن لَه الملوك، وكُل غَني وصُعلوك»(١٨٥).

وهوَى كثير من الأثرياء إلى هوَّة الفقر جراء وقوعهم فريسةً لأهل الحِيَل من محترفي الشَّعْبَذة بالدَّك والكيمياء؛ ليدركوا متأخراً أَنَّ هذه الحِيَل غِشٌّ وخداعٌ، وضياع للمال، وعِلةٌ للجَسَدِ والروح مَعًا، وأشار ابن دانيال الموصلي إلى هذا بقوله:

«مالَ المالُ، وحال الحالُ، وذَهَب الذهبُ، وسُلِبَ السَّلَب[١٨٦]، وفُضَّت الفضـــةُ»[١٨٧]. وألمح لهذا المجريطي[١٨٨] الأندلسي في شرحه لأسباب تأليف كتابه «غاية الحكـــيم» بقوله: «فالمحرك لي لتأليف الكتاب؛ ما رأيت أكثر أهل زماننا يبحثون عند من أمـــر الحِيَل وفنون أنواع السحر وهم لا يعلمون ما يطلبون ولا لأي سبيل يقصدون، وقـــد فَنِيتْ أعمارهم»[١٨٩]، فهم دائمًا مِن الكُسالى الذين يَطلبون المال دون تعب، والهنـــاء دون عناء[١٩٠].

ولم يكن غريبًا أن يتناقل الناس بحذر حادثة نُسبت لنور الدين محمد بن عماد الدين زنكي (٥١٢-٥٧٠هـ)، أَتابَك حلب ودمشق، للتشويق مفادها أن استطاع مشَّعْبِذ مُخادع أَعجمي عَمل حِيلة، ودَكَّ عَليه ألف دينار، وأَخذ بها مال المسلمين وراح[١٩١].

وأشارت المصادر إلى مشاهدة صلاح الدين الأيوبي لهذه الحِيَل مـــن رجـــل أعجمي أبهر الجميع بألاعيب الرأس والأيادي المقطوعة، ثم خرج الرجل من داخـــل الخيمة يمشي صحيحًا سويًّا كما كان وقبَّل الأرض بين يدي الناصر صلاح الـــدين، فبُهِت الناس وتعَجَّبوا فعْلَه[١٩٢].

وثمة إشارة أخرى عن مشَّعْبِذ مغربي يُعرف بعبد الله القمـــاري أقـــام فتـــرة زمنية عند الأمير عز الدين أيبك[١٩٣]، بزَعْم معرفته بالحِيَل والألعـــاب الســـحرية، وكان يدكه مائة دينار، فيأخذ منه ألف دينار إلى أن كُشف دكه وكذبه على يد أحـــد خُدام الأمير، فخاف من غائلته فما كان له إلا أن هرب[١٩٤].

واندفع المماليك – سلاطين وأمراء – في تيار الشَّـــعْبَذة وحِيَلهـــا إلـــى حـــدِّ الهوس؛ لدرجة أَن يصطحب أحد الأمراء بعد زيارة القاهرة في طريق عودته لليمن سنة ٧٥٥هـ: «كثير من الصناع والمخايلين والمشَّعْبِذين»[١٩٥].

ويبدو أن بعض الأمراء المماليك اعتادوا اصطحاب العارفين بهذه الحِيَـــل فـــي رحلاتهم، مِثلما اصطحب الأَمير المملـــوكي «يَلْبُغـــا الســـالمي» (ت٨١١هـ) مَعـــه

«سماقة»[١٩٦]، الذي كان آيةً في حفظ الأشعار والطرائف والنوادر والحِيَل والصناعات[١٩٧]؛ لدرجة أنه ألف كتابًا سماه «زهر البساتين في علم المشاتين»[١٩٨] يَدل على أن صاحبه كان يُتقن هذه الحِيَل، وتحدث عنها حديثَ خبيرٍ بها، وهو يستمتع بالعمل مع أصحاب حرفة ألعاب الخفة، ويقضي أيامًا مَعهم في رحلاتٍ ومُخيمات[١٩٩].

وفقد أَحدُ خواص السلطان «الناصر محمد بن قلاوون» حياته بسبب اعتقاده في مشَّعْبِذ صَدقه، وأَشاع كَذبه[٢٠٠]. وكانت براعة المشَّعْبِذين في الحِيَل رخصة للاتصال بالولاة والسلاطين[٢٠١]؛ فقربوا إليهم مَن اشتُهر بالحِيَل المختلفة، واختصوا بهم. فقد قرب السلطان الكامل شعبان أحد المغاربة من أصحاب الكاف ممن له مَعرفة بعمل الشَّعْبَذة بالكيمياء وتحويل المعدن إلى فضة، وقَرب السلطان إليه آقسُنْقُر الرومي، وهو تاجرٌ إفرنجي الأصل، لِما يَعلمه مِن شَعبذة وحِيَل، واختص به[٢٠٢].

وطَلَبَ أَحدُ الولاة[٢٠٣] من «الجوبري» أَن يُؤلف له كتابًا على غرار كتاب «ابن شُهيد» الأندلسي[٢٠٤]، وهو (كشف الدَّك وإيضاح الشك)، وأَن يُبدي رأيه فيه، وبصاحبه الأندلسي[٢٠٥]. كما حرص هؤلاء الأمراء على عطاء المؤلفين لهذه النوعية من الكتابات[٢٠٦]، في إشارةٍ لحرص الطبقة الحاكمة على اقتناء الكتب التي تَناولت هذا الفن والتشجيع على التأليف فيه، والشغف بها[٢٠٧]. لدرجة أن يؤلف المظفر يوسف بن عمر (ت٦٩٤هـ /١٢٩٤م) – عاش بمصر لفترة[٢٠٨] – كتابًا بعنوان «المخترع في فنون من الصُّنَع»[٢٠٩]، تناول فيه الألعاب التي تدخل في باب الحِيَل والدَّك، وطرق اعتادها أهل الحِيَل[٢١٠]، ووصل الشغف بهذا اللون من الألعاب أن تعلم بعض المماليك هذا النوع من الحِيَل مثل أستدار[٢١١] الناصر محمد بن قلاوون[٢١٢]، «الذي عَرَفَ العديد من حِيَل وألعاب المشَّعْبِذين ومارسها[٢١٣]. وثمة شبيه له في أدب العامة وهو الأمير المملوكي «وصال»، بطل أولى بابات خيال الظل في عصر سلاطين المماليك؛ إذ يقول: «رأَينا الحِيلَة علَيهِم ولا الحاجَة إليهم[٢١٤]، وتركنا العَمَل، ومِلنا إلى الراحةِ والكسلِ، وانفَرَدنا بِتَدْبِير المدكَّات[٢١٥]

والحِيَّل، وتَعرفنا في تِلكَ الفِرقِ، ولَم يَصُدَّنا رُعبٌ ولا فَرَق»[٢١٦]. ونرى مثالًا عن الطمع في زيادة المال عام ٨٥٣هـ ، حين تناقل الناس في القاهرة واقعة حدثت للسلطانِ «جَقْمَق»[٢١٧] وكان فَريسةً لأحدهم احتال عليه بهذه الألعاب والحِيَل. ولم يَزل ذلك الشخص حتى أتلف على «چقمق» مالًا كثيراً؛ فأمر بسَجْنه[٢١٨].

وفيما يتعلق **بطبقة العامَّة** فقد غدا من المعروف أن الأمية خاصية ملازمة للعوام في المجتمعات الإسلامية الوسيطة[٢١٩]، ولم تورد بعض المصادر التقليدية الإشارة إلى ذلك في وصمهم بالجهل، متشبثين بالشَّعْبَذة والسحر، وهو ما حدا ببعض المؤرخين إلى التنبيه على خطورة تعلم العوام؛ لأن «تَفَقُّه الرعاع فساد الدنيا، وتفقه السِّفْلَةِ فساد الدين»[٢٢٠].

ورغم الموقف الديني المناهض للمشَّعْبِذين إلا أن هذا الموقف لم يكن قادراً على إقرار توازن اجتماعي والتخفيف من حدة التناقضات الاجتماعية، ومعالجة وضع العامة المتأزم نتيجة الفقر والإفقار وتردي الأحوال وهموم المعيشة، والغلاء مع الوباء وموقف السلطة المتناقض تجاه مثل هذه الظواهر، وهي عوامل مسئولة عن زيادة حجم تلك الفئات وتزايد فعالياتها، وتنوع دورها المتأرجح بين الاحتيال واللهو وسط طبقات العامة.

إن نظرةً واحدةً إلى ما ذكره «الجوبري»، وأكده من بعده «أوليا چلبي»؛ تُدهشنا وتُبهرنا بهذا الكم الذي ذكروه عن حِيَل المشَّعْبِذين، وربما الذي لَم يذكروه: «والذي خَفي عنهم أَكثرُ مما وقفوا عليه»[٢٢١] في إشارةٍ من «الجوبري» إلى كثرةِ هؤلاء الذين لجاوا إلى طرقِ الاحتيال؛ لخداع العوام بأمور تَعجِز العقولُ عن ضبطها؛ فَيُذهلون عَقل مَن يحضر مثلما ذكر صاحب كتاب «كشف الظنون عن أسامي الكتبِ والفنونِ»، عند حديثه في «باب علم الحِيَل الساسانية»[٢٢٢]، وكما قرر صاحب «المختار في كشف الأسرار» عند حديثه في «باب كشف أخبار أهل الكاف، وهي الكيمياء»[٢٢٣]، وحديثه «في كشف أسرار المعزمين»[٢٢٤].

ورُغم معرفة «الجوبري» الموسوعية في حِيَل المشَّعْبِذين بقوله: «لَم أترك شيئًا، ولم يَفتني شيء من الحِيَل»، إلا أنه وقع فريسة لبعض الحِيَل، وتاه بين ألاعيب المشَّعْبِذين؛ فَهو لَم يستطع أن يُدرك تغيير سِحْنة صديق هندي له اسمه «مَحمود بن شابان»[٢٢٥] في إشارةٍ إلى أَي مدى بلغ دهاء هذه الفئة المهمَّشة، ومدى حِيَلهم ومهارتهم الشخصية التي استطاعت أن «تَسلب عُقُولهم، ويَتمكنوا منهم، ويأخذوا عوض الدراهم دنانير»[٢٢٦]، بل ويصل الأمر أن ينقاد كثير من الناس وراء رجل في الشام في القرن السابع الهجري؛ كان يعمل المخاريق من المخيلات وكانت حيلته في العصا التي يرعى بها الغنم فكان يلقيها من يده فتصير ثعبانًا تسعى بين يديه[٢٢٧].

واستمرت الظاهرة إلى عصر الرحالة «كارستنيبور» الذي نقل لنا صورة حيوية من القاهرة عن دور هذه الطائفة في المجتمع، ويُقدم صورةً نادرةً لتفاصيلِ حياة المشَّعْبِذين وعملهم ولاعبي الألعاب السحرية ودورهم في إسعاد العامة بقوله: «ومن بين الفنانين الصغار الذين يَهيمُون في طُرقاتِ القاهرة رأيتُ واحدًا معه نافورة الحواة الحجرية (*Fonsintermittens*).. وكان الناس من العامة يَنقدونه من المال النزرَ اليسير – الذي يَعيش به عيشةً بائسة – ورأيت واحدًا آخر من هؤلاء الحواة يُلقي تُرابًا في إناء به ويُخرجه جافًّا مَرةً أُخرى، ورجلًا معه كُوز لَه قاعان وغطاء واحد، يَضعُ على القاعِ العُلوي بَيضةً، وعلى القاعِ السُّفلي كتكوتين،... وبعض من هؤلاء الحُواة يحتالون على العامة للحصول على النُقودِ منهم»[٢٢٨]. ليقوم كلٌّ منهم بدفع أي مبلغ مالي نظير تلك الأفعال التي جلبت لَهم التسلية ومنحتهم بعضًا من السعادة، ويَدفع أغلب المتفرجين عن طيب خاطرٍ لمواصلة الفرقة العرض الشيق الذي كانت تقوم به. وأسماهم الرحالة «مصطفى أحمد عالي غاليبولي لي»[٢٢٩] ب«أصحابِ اللعب»[٢٣٠]، ويصف حال بعضهم بقوله: «يَعيشون مثلَ الأَغنياء من الكؤوسِ الفارغة»[٢٣١] في إشارة لمدى تطور الحرفة وإدرارها المكاسب على بعض أصحابها الحذقة.

التواجد والانتشار المكاني للمحتالين

رغم أن الطائفة ظهرت في كتب التراث الفقهـي كنتـوء شـاذة أو كبـؤرة للاحتيال واللهو وسط العامة، إلا أنهم في الوقت ذاته مثلوا لنا مرآة عاكسة لمجموعة من الاختلالات المجتمعية السياسية والاقتصادية والسياسات غيـر المتوازنـة علـى المستوى الاجتماعي، مثل البطالة وعدم وجود وسيلة مشـروعة للتعـايش: «فـإن الإنسان إذا احتاج احتال»[٢٣٢]، بل وعدم وجود محل إقامة مستقر[٢٣٣]، الأمر الـذي يستدعي اتخاذ الطرقات والأسواق والتجمعات والاحتفالات الخاصة والشعبية ميـداناً لعملهم[٢٣٤].

كما تَكشفُ لَنا الكتابات التاريخية عن أَهمية الدور الاجتمـاعي الـذي لَعبـه جانب كبير من هذه الفئة في المجتمع واتساع الحيز المكاني لهم، وقد رصـدته لنـا عدسة الجوبري في أثناء تحققه وتمعنه بأمور المحتالين، ولاحظنـا انتشـارهم فـي دمشق حيث ينشط عملهـم يـوم السـبت فـي الميـدان الأخضـر، وفيـه حلَـق المشَّعْبِذين»[٢٣٥]، وشاهدهم الجوبري في مصياف[٢٣٦] سنة ٥٥٣هـ، الرُّها، وحـران عام ٦١٣هـ، وأنطاكية، وتمنين في البقاع، وجوبر، وصيدنايا[٢٣٧]، وحلب، ويطيـل الجوبري المكوث في مصر لكثرة محترفـي الحيَـل والمشَّـعْبِذين والمفتـونين أو المنكوبين بهم أكثر من غيـرهم[٢٣٨] ونجـده فـي القـاهرة عـامي ٦٢٠هـ [٢٣٩]، ٦٢٣هـ[٢٤٠]، وفي المحلة[٢٤١] وفي صـعيد مصـر، وعَيْـذاب[٢٤٢]، وقـوص[٢٤٣]، والبهنسا[٢٤٤].

والواضح أن منطقة باب اللوق كانت مَركز تَجمعٍ مُهمٍ لَهم لفترات طويلـة، وكانوا مَقصد راغبِي الترويح عن نفسه أَو للمتعة، على حـدِ شـهادة ابـن دانيـال الموصلي[٢٤٥] والمؤرخ المقريزي والرحالة الحسن ابن الوزان[٢٤٦] من بعـده[٢٤٧]: «رحبة باب اللوق، وبها تَجتمع أَصحابُ الحلَـق، وأَربـابُ الملاعـب والحـرف؛ كالمشَّعْبِذين والمخايلين[٢٤٨] والحواة والمتأفين، وغير ذلك»[٢٤٩]، وأشار المقريـزي

إلى اتخاذ ما أسماهم ب«أصحاب الملعوب»[٢٥٠]. أماكن تجمع العامة في الميادين والأسواق كميدان القبق[٢٥١]، لدرجة أثارت إعجاب السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون في هذا الميدان؛ لكثرة من حضر هناك من أصحاب الملعوب[٢٥٢]، إضافة إلى الطرق والشوارع الرئيسية مكاناً لعملهم: «تجتمع الناس لذلك في الطريق الشارع المسلوك من جامع الطباخ إلى قنطرة قدادار»[٢٥٣]. وقد سُئل «ابن أبي زيد القيرواني، أبو محمد عن حُكم هؤلاء الذين يجلسون في الطرقات، ولهم ملاعب»[٢٥٤]، «فيحشر هنالك من الخلائق للفرجة»[٢٥٥]، لتنهال عطاءات الناس عليهم[٢٥٦].

واستمر دورهم في المجتمع إلى عصر المؤرخ الجبرتي الذي شاهد تَجمعًا لَهم في الأزبكية في إحدى الحفَلات الخاصة ل«إسماعيل القلق الخربطلي كتخدا العزب» لمدة ثلاث أيام حيث اجتمع «أَرباب الملاهي والبهالوين والمشَّعْبِذين وطوائف الملاعبين..، ونصبوا أَراجيح.. يَعملون شَنكا وحراقات ومدافع وسواريخ»[٢٥٧].

كما نلمح استمرار دورهم في المجتمع إلى ما بعد فترة الدراسة في إشارات الرحالة أوليا چلبي إلى أن عدد المشتغلين في القاهرة بهذه الحِيَل ما يقارب ثلاثمائة نفر. يَقومون باللعبِ في المقاهي والخمارات، ومقاهي البوظة «الجعة»... ولَهم سَبعون نوعًا من الحِيَل واللعب»[٢٥٨]. ويبدو أن سوقهم راج في الاحتفالات والمواكب الخاصة بترقية المماليك[٢٥٩] أو الزواج. وعندما زار القاهرة الرحالةُ المغربي «عبد الله العياشي» شاهد المشَّعْبِذين، وأصحابِ اللعب، كَما شاهد كَثيراً مِن حلق المعجبين بهم في سائر الأيام، يتجمعون في منطقة الرميلة»[٢٦٠]. ويذكر ستانلي لينبول مشاهدته لبعضَ المشَّعْبِذين في منطقة الحسين بالقاهرة، وقد انهمكوا في عملهم في غَير انقطاع لإسعاد النفوس»[٢٦١].

والواضح أن نشاط هذه الفئة لم يقتصر على المدن فقط وإنما وجدنا إشارات تدل على تمكنهم من القرى[٢٦٢]؛ إذ آمن الفلاحون في دمشق – كما في سواها من قرى بلاد الشام – بالشَّعْبَذة التي سيطرت على عقول السواد منهم[٢٦٣]، ويشير المؤرخ أبو شامة إلى «ظهور رجل من أهل الْمغرب في مشغرا، قَرْيَة من قرى دمشق وأظْهر من التخاييل والتمويهات ما فتن بِهِ النَّاس واتَّبعه عالَمٌ عَظِيمٌ من الفلاحين وأهل السواد وعَصِي على أهل دمشق ثمَّ هرب من مشغرا في اللَّيْل وصارَ إلى بلد حلب وعاد إلى إفساد عقول الفلاحين بِما يُرِيهم من الشَّعْبَذة والتخاييل»[٢٦٤]، ونلمح في «هَز القحوف» حضوراً واضحاً لهم في ريف مصر واحتيالهم بأكثر من وسيلة: «يا مَولاي: احمد الله؛ أَنت طَلبت مزينًا فمنَّ الله عليك بمزين ومنجم وطبيب، وعارف بصنعة الكيمياء والسيمياء»[٢٦٥].

موقف الكُتَّاب والمثقفين تجاه ممارسات المحتالين

هيمن قطاع عريض من المشَّعْبِذين بحِيَلهم – خاصة المتعلقة بالكيمياء – على عقول العديد من الطبقات في وقتٍ سقطت فيه معايير القيم الموضوعية والأفعال الواعية؛وبات الخيال والشَّعْبَذة من البدائل الماثلة أمام العاجز واليائس والضائع وفاقد الحيلة، يلوذ بها كنوعٍ من التسكين التعويضي. والإنسان في غَيْبة الأمان والاستقرار، وأمام واقعه الواهن الممتلئ بالمرارات التاريخية يستعيض بالغيبيات كملاذٍ بديل، وسرعان ما تصدى العديد من المثقفين والكُتاب العرب والمسلمين لهذه الظاهرة؛ فأُلفت كُتبٌ وشروحات في هذا المجال[٢٦٦]. وهذه النوعية من الكتب التراثية لَم تَلق العناية الكافية، رغم احتوائها على كثير من المعلومات، التي تَعتمد على معرفةِ أغلب مؤلفيها بقوانين العلوم المختلفة من ميكانيكا وفيزياء وكيمياء، ونبات وحيوان وبالصناعات المختلفة[٢٦٧].

يَبدو أَن هذه الكتب كانت مُحببة إلى نفوسِ العديد من طبقات المجتمع في عصري الأيوبيين والمماليك، وظلت بضاعة رائجة، خاصة لدى ذوي السلطة والجاه

لحقب طويلة. وهو ما أشار إليه الزرخوني المصري (في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، في كتابه «زهر البساتين» بقوله: «رأيتُ كُتبًا كثيرةً، في هذه الصنعة الظريفة، لا يَصلُ إليها كلُّ أحد؛ إذ هي مَحبوبة إلى نفوس الرؤساء، ومَشرحة لصدور الجلساء. صنَّفها الحكماءُ لنزهة الملوك القدماء، وقد تكلم عليها كل أستاذ بما علمه، وكنت أتكلم عليها طول الزمان»[٢٦٨]. ووصفها المجريطي في سياق عرضه للمقالة الرابعة من كتابه «غاية الحكيم» والتي خصصها للحديث عن «أنموذجات من أعمال الحِيَل السحرية»، بقوله: «هي أحسن أنواع السحر»[٢٦٩]، في إشارة إلى استحسانه لهذا النوع من الحِيَل السحرية.

والواضحُ أَن العديد ممن كَتبوا في أسرار هذه الحِيَل قد تَعاطَوْها زمنًا، ثُم هداهم الله سبيل الرشاد؛ فأخذوا يَدرسونها كي يُحاربوها[٢٧٠]، وقاموا بتدوين ألاعيب هذه الفئة الضالة (على حد قولهم)[٢٧١]. والسُّبل التي يَجذبون بها الناس ويَخدعونهم فلم يجد «الجوبري» – على سبيل المثال لا الحصر – وسيلةً سِوى تأليف كتاب ضخم، يَضم كلَّ ما لديه من معلوماتٍ، ويبدو أنه عَزف عن ذلك فاكتفي بمختار منها[٢٧٢]. وفي سبيل ذلك رجع إلى عشرات من الكتب، السابقة عليه والتي لَم يبق لنا منها سوى الاسم، ونظرة واحدة إلى الصفحات الأولى مِن مُقدمته كفيلةً بتقديرنا للكم الكبير من الكتب الضائعة في هذا العلم، فبعد أن يُعدد جانبًا مِن هذه الكتب يَقول: «ولولا خَوفُ الإطالة لكنت ذكرت جميع أسماء الكتب، وذَكرتُ كل كتاب، وكل ما فيه، وما يقتضي وما يختص، ولكن قَصدتُ الاختصار والإيجاز»[٢٧٣]، وليته فصَّل وما أوجَز!!

ومن خلال فقرات الكتاب نستطيع أن نلمح بوضوح جهد الجوبري لكشف المحتالين ومنع شرِّهم وتسلُّطهم على الناس الذين توجه لهم في كتابه ليجنبهم الوقوع في حبائل الغش والشَّعْبَذة[٢٧٤]، فهو على الدوام يجعل عناوين الأبواب في كتاب المختار «كشف أسرارهم» أي المحتالين، ويبدأ الباب دائمًا ب«أعلم» وينهيه ب«افهم». ويستمر في تحذير الناس وتنبيههم إلى مكر المحتالين وخبثهم[٢٧٥].

بعض الكُتاب لم تقتصر معرفتهم بهذه الحِيَل على الكشف وحده بل الإبـداع أيضاً[٢٧٦] فحين يقف «الجوبري» حيال حِيَل بعض المشَّعْبِذين يقول: «استنبطتُ شيئًا مليحًا لإخراج السرقة، لم أُسبق إليه»[٢٧٧].

ويعطينا العديد ممن كتبوا في هذا النوع المعرفي مثالًا عن طبقة من متثَّقـفـي الشعب، فهم ليسوا فقهاء، ولم يدّعِ أي منهم ذلك قط، بل نسـتطيع القـول إن ثقافـة بعضهم الدينية ضحلة، فهم لم يتطرقوا للوعظ الديني، ولم يستشهدوا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، ومع ذلك فهم مؤمنون ملتزمون كمعظم رجال عصرهم، فلم يتجاوز أي منهم في أية مسألة تتعلق بالشرع، بل على العكس نجد منهم من يوقر الصالحين ويخرجهم عن دائرة المدعين والمحتالين[٢٧٨].

إن مواجهة الاحتيال وردَّ كيد أهل الحِيَل يحتاجان لثقافة ومعلومات لم يبخـل من كتبوا في هذا اللون بأي منها على القارئ، حتى إننا نستطيع القول: بأن الـدافع الحقيقي، إن كان للمؤلفين أو لمن طلب منهم التأليف، هو حماية المجتمع بعد ازديـاد عدد المحتالين وتشكيلهم طبقة قوية وخطيرة، وانتشار الغش في الصناعات كافة بـل في أشياء لا تخطر على البال[٢٧٩].

علمًا بأن كثيراً من المحتالين كانوا يرتعون في كل الطبقات عندما يأتون من باب طمع الناس فيعمون بصائرهم ويتمكنون منهم، وطالما انطلـت حيلـتهم علـى أغنياء، وعلماء ووزراء، بل وسلاطين، كما أننا اليوم، وفي عصرنا الحاضر بكـل علومه وتقدمه لا نستطيع أن ننفي وجود أُناس يشبهون البلهان[٢٨٠] أو الأخشان الذين تحدث عنهم الجوبري، وكذلك وجود محتـالين طـوروا مهـاراتهم لتتناسـب مـع العصر[٢٨١].

الأمر الذي دفع ببعض الفقهاء والعلماء والكُتاب أن يتقنوا هذه الحِيَل ويتعرفوا عليها من باب فرض الكفاية لكشف المحتالين ومنع شرِّهم وتسـلُّطهم علـى النـاس وأشارت المصادر لمعرفة عدد من الفقهاء والعلماء هذه الحِيَل وتعاطوها مثل مَحْمُود بن مَسْعُود بن مصلح الْفارِسِي المولود في شيراز سنة ٦٣٤هـ، وكان يتقن الشَّـعْبَذة،

وكان من بحور الْعلم ومن أَفْراد الذكاء»[٢٨٢]. والفقيه إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي الذي كان متقدماً في علم الكلام وكان صاحب حِيَل وفوارج مستظرفة، مطَّلِعاً على أشياء غريبة من الخواص وغيرها[٢٨٣].

التراث المكتوب في ألعاب المحتالين

كانت الحِيَل في تلك الفترة تعد علماً بكل ما في الكلمة من معنى، وهذا ما أكده الجوبري حيث وضع فصلًا سماه «علم الحِيَل الساسانية»[٢٨٤]، وقد عالج الكثير من الكُتاب موضوع الاحتيال ووسائله، منهم بالمقامات ومنهم بالشعر، ومنهم بالنثر، وقد وصل إلينا بعض من هذه الكتابات، وفُقِد بعضها الآخر، وصلت إلينا إشارات عنها في بَعض المصادر التي تَناولت شَعْبَذة الألعاب السحرية، أو ألعاب الخفة، ومنها الكتب التي أشار إليها «النديم» في كتابه «الفهرست»[٢٨٥]، والتي لَم يصل بعضها إلينا، أَما مِن الكُتب التي وصلت إلينا، منها: كِتاب «النارنجيات»، أو «الباهر في عجائب الحِيَل» لأبي عامر أحمد بن عبد الملك الأندلسي المعروف بابن شُهيد[٢٨٦] (ت٤٢٦هـ)، وهو الشاعر والأديب المشهور، صاحب رسالة «الزوابع والتوابع»[٢٨٧]. ورسالة النارنجيات هذه جزء من كتابه «كشف الدَّك وإيضاح الشك»، وقد ذَكره «الجوبري»[٢٨٨] ضِمن الكُتب التي رَجع إليها.

ونَجد كتاب «عُيون الحقائق وإيضاح الطرائق»[٢٨٩] لأبي القاسم محمد بن أحمد السماوي[٢٩٠] العراقي (عاش حتى نهاية القرن السابع الهجري)[٢٩١]؛ لأنه يذكر اسم حاكم مصر في زمنه الظاهر ركن الدين[٢٩٢]، وكتابَ «إرخاء الستور والكُلَل، في كشف المدكَّات والحِيَل»[٢٩٣]، تأليف محمد بن محمد أبي حلة الرهاروزي أَو ابن الدهان، ولم يَصلنا شيء عن حَياةِ المؤلف، إلا أن المخطوطة المعروفة لَه مؤرخة سنة ٥٩١هـ /١١٩٥م. وتَضمن مادةً عن الألعاب السحرية وخفة اليد، وقد اعتمد عليه الجوبري صاحب كتاب «المختار في كشف الأسرار». والجوبري كان حيًّا سنة ٦١٣ هـ /١٢١٦م، ويستفاد مِن مُقدمة مؤلفه أسماء كتب اعتمد عليها، ولَم يصل إلينا العديد منها، فيما عدا كتاب «إرخاء الستور» وكتاب ابن شُهيد السابق ذكرهما.

أضف إلى هذا التراث كتاب «الحِيَل البابلية للخزانة الكاملية» للحسن ابن محمد الإسكندراني القُرشي العدوي (ت في حدود سنة ٦٤٠هـ)، وقد صَنَّفَ هَذا الكتاب للملك الكامل الأيوبي، وأَلَّف كتاب «مَوضح أستار الكُلَل، وفاضح أسرار الحِيَل» للخليفةِ الناصر لدين الله أحمد العباسي، حين قدومه إلى بغداد. واحتوى على أبواب منها: الباب الأول في أُصول هذا العلم ومعرفته وما يستحب مِن لطفه وخفته. الباب الثاني في الحِيَل الهوائية، والدخن السماوية. الباب الثالث في السرج والقناديل ووضعها في المحافل. الباب الرابع في اللعب بالنار وما يوهم به الحضار. الباب الخامس في وضع الطلاسم بالعزائم. الباب السادس في القناني وما فيها من المُلَح والمعاني. الباب السابع في الكاسات، والأقداح وما فيها من الأفراح. الباب الثامن في البيض وحِيَله وترتيبه وعمله(٢٩٤).

ومِن الكتب الأخرى التي تَناولت الألعاب السحرية وخفة اليد في تراثنا؛ كتاب «عيون الحقائق والغرائب في اللعوب والكيمياء، لمجهول، وكتاب آخر «في الدَّك والنيرنجيات والملاعيب والسيمياء، والبَخورات لمجهولٍ أيضاً(٢٩٥). إضافة إلى كتاب «زهر البساتين في علم المشاتين» ذَكره حاجي خليفة بقوله: «مُختصر في الشَّعْبَذة. لمحمد بن أبي بكر. في عِلم الحِيَل.. الباب الأول: في الصُّورِ، والتماثيل. والثاني: في الأقداح والعفائر. والثالث: في الأُكَر. والرابع: في أشياء من الشَّعْبَذة. والخامس: في البيض والصناديق. والسادس: في القناديل والسروج. والسابع: في اللزاقات والتعاليق. والعاشر: في طرائق بني ساسان»(٢٩٦). وتلك الكتابات تؤكد أنَّ هذه الحِيَل لم تمرَّ على الوعي دون استجابةٍ يقظةٍ وانتباهٍ واعٍ بدور هذه الطائفة في التأثير على المجتمع. وأن هذه الكتابات بمنزلة شاهد على ذهنية المجتمع العربي، بخاصة في فترات التأزم الحضاري، وهي بذلك تُعَدُّ مجالًا مهمًّا لدراسة هذه الذهنية التي تتطلب سلاحًا نقديًّا ثاقبًا.

وخلاصة القول ...

إن هذه الدراسة التي شكلت كتب الحِيَل والنارنجيات أحد مصادرها الرئيسية، سمحت لنا بالوقوف على الأهمية التاريخية لهذه المصادر من حيث فائدتها في ما تخبرنا بصورة غير مباشرة وغير معلنة عن واضعيها وهواجسهم، وظروف إنتاج الخطاب التحذيري ودوافعه ووظائفه، وبالتالي عن المجتمع، ومن هنا تأتي أهميتها الحيوية، والتي لم تراع حتى الآن حق المراعاة، في أية مقاربة تاريخية، هذا فضلًا عن ما تزخر به من معلومات حول النواحي الاجتماعية والحضارية.

كما سمحت لنا هذه الدراسة بأن نتبين مدى مشاركة «الخاصة» و«العامة» في ظاهرة «الحِيَل بالنارنجيات»، ومدى اعتقاد أفرادها بالنارنجيات وحِيَلها، مما يدفعنا إلى مراجعة التقسيمات المعهودة بين العقلية والسلوكيات الدينية عند العامة والعقلية والسلوكيات الدينية عند الخاصة، وتفتح المجال عريضًا أمام إشكالية «المثقف» في «العصر الوسيط» في علاقته بالدين، وبالغيب، وبالسلطة، وبالمجتمع(٢٩٧).

ومن الظواهر الملفِتة التي سمحت لنا هذه الدراسة بالوقوف عندها وإن كان باقتضاب، هي مسألة «ثنائية وظيفة الحِيَل» أي حِيَل التسلية والسلب أو «السم في العسل» المنسوبة ممارستها إلى المشَّعْبِذين، وما اقترنت به هذه الممارسة من آليات. من هنا نستشف أهمية التعمق في هذه المسألة التي لعبت دورًا أساسيًّا في تلبية احتياجات قطاع عريض من المجتمع ثقافيًّا واجتماعيًّا وإحكام سيطرة المشَّعْبِذين وأهل الحِيَل على المجتمع، وربما تفاقم دورهم في الفترة اللاحقة.

تبين الدراسة ما للحياة الشعبية يَومذاك مِن أَثرٍ على أقلامِ المؤلفين من الكُتاب، والمثقفين والأدباء أو الفقهاء أو المحتسبين، الذين سجلوا لنا هذه الحِيَل

وفنون المشَّعْبِذين أو أشاروا إليها، أو حذروا الناس وأبناء المجتمع مِن مُمارستها، والابتعاد عن أصحابها ومُخترعيها، كَما أنها تَدلنا دلالةً واضحةً على افتتان الناس بمهارات أصحاب الحِيَل والشَّعْبَذة، التي يُبطِل واقعُها وانتشارها، المناخ العلمي الصحيح، والوعي الشعبي، والثقافة العلمية المتطورة(٢٩٨).

لكننا اليوم نحتاجها لا لنتقي المحتالين الذين لم ينقطعوا بل تطورت أساليبهم وارتقت حِيَلهم بما يناسب العصر، نحتاج دراسة هذه الجماعات اليوم لنتعرف على ماضي مجتمعاتنا وكيف كانت تعيش في الواقع وعلى الحقيقة، هذا الواقع الذي لم تتطرق إليه كتب التاريخ إلا شذرات هنا أو هناك، ولم يذكره المؤرخون ترفعاً عنه، لكنه كان واقعًا قائمًا لا نستطيع نكرانه، يساعدنا في التعرف إلى الموقف الذهني الإدراكي والأخلاقي والتخيلي والمعرفي للمجتمع تجاه جماعة منبوذة اجتماعيًّا ودينيًّا، ورغم ذلك ظلت مخترقة لطبقات المجتمع وآدابه وفنونه كافة، نظرًا لما قدمته من طرافة ومتعة وتلبية لحاجات اجتماعية / ثقافية، كشفت أسرار النفس البشرية ونزواتها والتي هي غالبًا واحدة في كل العصور(٢٩٩).

انتظم العاملون بحرفة الشَّعْبَذة في تنظيم طائفي رتَّب أحوالهم، ونسَّق علاقتهم بالسلطة الحاكمة، وإن لم يكن بالشكل الناضج الذي عُرف في حرف أخرى معاصرة ليجمعوا بين ما هو متناقض في بؤرة واحدة ويقدم تفسيرًا ذهنيًّا لتاريخ المجتمع ويساعدنا على فهم أعمق لحالة تطور المجتمع من زاوية باهتة ملتبسة غامضة جديرة بالدراسة قد تعيد صياغة رؤيتنا لهذا العصر المليء بالمفارقات.

على جانب آخر تعرضت الحرفة للكثير من التقنين الديني الرافض في أغلبه لهذه الممارسات والألوان من وسائل التسلية، ولكنه تقنين لم يمتلك أدوات المنع النهائي لهذا النوع من الحرف، إضافة إلى تعرض هذه الطائفة إلى التضييق النسبي من السلطة في أوقات متفاوتة، تبعًا لشبكة علاقات هذه الطائفة. فرغم أنها قلمت

أظافرهم إلا أنها لم تسلبهم مكتسباتهم، ويشهد على ذلك استعانتهم بهم في الاحتفالات الخاصة والعامة، مما يعني استمرارية دورهم في الوسط المجتمعي، هذا لم يمنع معاناة هذه الطائفة من ضعف الإمكانيات الاقتصادية التي تدفعهم إلى اعتماد فئة كبيرة منهم على ما يجود به العامة في الأسواق والاحتفالات الخاصة والعامة.

تبين الدراسة إلى أي مدى كان انتماء هذه الشريحة إلى كل مكان، وهم من كل قوم قد يكونون؛ فمنهم الأعجمي أو المغربي أو المصري أو النوبي، ومَن هو من أهل الحجاز أو دمشق وغيرهم، وكذلك الطبقات التي يترزق عليها المشَّعْبِذون، فهم من كل الأقاليم والمدن، ومن قاع المجتمع إلى أعلى قمته، ومن الأديان والمذاهب كافة، وانطلاقًا من ذلك فإننا نجد أن دراسة أحوال هذه الشريحة وأساليبها من خلال الكتابات التي تناولت أسرارهم وحِيَلهم تشكل مرآة حقيقية للتاريخ الاجتماعي تعطينا صورة تعكس الصدق والشفافية لمجتمع العوام البسطاء الذين هم الهدف الرئيس للاحتيال.

وتوضح الدراسة أن انتشار الاحتيال والغش بهذا الشكل يدلنا على تدنى مستوى الوعي العام لدى السواد الأعظم من المجتمع عامة ومن طبقة العوام خاصة. فنجاح المحتالين يحتاج إلى بيئة يسود فيها الجهل والبطالة والفقر، فلولا ذلك لما ازداد المحتالون ولما تعددت الحِيَل.

وتبين الدراسة أن كثيراً من المحتالين كانوا يرتعون في كل الطبقات عندما يأتون من باب التدين، مرتدين ثوب التقوى والصلاح، ثم يأخذون دور الناصح الأمين، بعد ذلك يثيرون طمع الناس، فيعمون بصائرهم ويتمكنون منهم، وطالما انطلت حِيَلهم على أغنياء وعلماء ووزراء وسلاطين(٣٠٠).

وتبين دراسة حِيَل المشَّعْبِذين جملة مِن الصـــناعات الشـــعبية التـــي يَعتمـــد صاحبها على خلط العلم بالحيلة، وتطلعنا على نماذج من التراث الشـــعبي العربـــي، وخاصة ما يتعلق منها بأرباب حرف مصاحِبة للشَّعْبَذة اندثرت أو تكاد بحيث أصبح هؤلاء تاريخاً لا يتجزأ عن تاريخ المجتمع.

وتكشف الدراسة عن الدور التنويري الذي يقوم به العلماء والكُتَّاب والمثقفون في دفع وهم الناس عما هم فيه من ضلال، ويبين لهم الفرق بين الـــوهم والحقيقـــة ويمكنهم من الوقوف على أنواع الاحتيال والمحتالين(٣٠١)؛ لتتضح أمامنا معاني العالم الحق الذي يحمل رسالة، معلم الخير، الصالح المستمسك بثوابت أمتـــه وعقيدتـــه إذا فسد الناس وعيًّا وسعيًّا؛ ليذكرونا بقول القدامى: «ما من علم مستقبح إلا والجهل بـــه أقبح»(٣٠٢).

وسوغ الجوبري جهده وتحصيله لعلم الحِيَل بقوله: «معرفة الأشياء خير من الجهل بها، فهذا مراد المملوك عن هذه العلوم»(٣٠٣). فما أعظم علماءنا ! وما أعظم ما تركوا لنا من تراث ! إنهم لم يتركوا علماً أو فنًّا إلا أشبعوه دراسة وتتبُّعًـــا. ولـــم يدَعوا للبشرية عِلماً إلا وضعوا فيه بصمات ثابتة.. حتـــى علـــم الشَّـــعْبَذة والحِيَـــل والألعاب السحرية وما يلتصق بها من خفة اليد، والدَّك.. معها أو ضدها.

الهوامش

(١) قاسم عبده قاسم، على السيد علي: الأيوبيون والمماليك، التاريخ السياسي والعسكري، (القاهرة، عين للدراسات والبحوث، ١٩٩٥م)، ص٣، ٤.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، (القاهرة، دار النهضة العربية ١٩٩٢م)، ص٢٥٩-٢٦٣.

(٣) ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن: المطرب من أشعار أهل المغرب (تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرين، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٣م)، ص٨٦.

(٤) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد (ت٥٩٧ هـ)، تلبيس إبليس، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ٢٠٠١م)، ص٣٤٠؛ أحمد المحمودي: عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي (القاهرة، دار رؤية، ٢٠٠٩م)، ص١٢١.

(٥) قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، (الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ع١٤٩، المجلس الوطني للثقافة ١٩٩٠م)، ص١٨٢.

(٦) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري، ص٢٦٤- ٢٦٩؛ محسن جمال الدين: مخطوطة المختار في كشف أسرار المحتالين ونواميس الحيالين (مجلة التراث الشعبي، العددان الثاني، والثالث، السنة السابعة، بغداد١٩٧٦م)، ص١٧٩؛ منذر الحايك: تقديم كتاب «المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار»، (دمشق، دار صفحات، ٢٠١٤م)، ص١٨.

(٧) أصبحت خفة اليد ترتبط بعمليات السرقة والاختلاس والنشل، وهي من الكنايات العامية «إيده خفيفة» التي تدل على المهارة مثل «سرقة الكحل من العين» أو «خذ من الحافي نعله». للمزيد. أحمد تيمور: الكنايات العامية (ط٣، بيروت، الشركة الشرقية للنشر، والتوزيع، ١٩٧٠)، ص١٠، ٣٢، ١٥٠؛ سيد عشماوي: الجماعات الهامشية المنحرفة في تاريخ مصر الاجتماعي الحديث (القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٥م)، ص٢٤، ٣٩، ٤٠.

(٨) سعيد عاشور: المجتمع المصري، ص٢٦٨.

(٩) الهادي التيمومي وآخرون: المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي (ط١، تونس، بيت الحكمة، ١٩٩٩م)، ص٥-٦ بتصرف.

(١٠) المقصود هنا بالحِيَل هو الاحتيال للتكسب، وليس علم الميكانيكا الذي كتب فيه أولاد محمد بن موسى بن شاكر.

(١١) محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت٧١١هـ): لسان العرب (ط٣، دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ) ١٨٥/١١؛ وإبراهيم مصطفى، وآخرون: المعجم الوسيط (القاهرة، وزارة التربية والتعليم، ١٩٩٣م) ٢٠٩/١؛ محمود بكير: علم الحِيَل لغة واصطلاحاً في التراث العربي الإسلامي (دبي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد ١٦، ١٤١٧هـ)، ص٦١.

(١٢) شريف على الهلالي: علم الحِيَل: أصول الحذق العربي، (العراق، مجلة ثقافتنا، وزارة الثقافة العراقية ٢٠٠٧م)، ص١٦٤.

(١٣) تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت٧٧١هـ): معيد النعم ومبيد النقم (تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، ط٢، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٣م)، ص١١٦.

(١٤) قال الجرجاني: «الحِيَلة اسم من الاحتيال وهي التي تحَوِّل المرء عما يكرهه إلى ما يحبه»، تطلق الحِيَلة في عرف الفقهاء والمحدِّثين غالباً على الحِيَل المذمومة شرعاً، وهي الطرق والوسائل الخفية التي تستحل بها المحارم وتسقط بها الواجبات ظاهراً. انظر: ابن منظور: لسان العرب، (بيروت، دار صادر ١٤١٤هـ) ٧٥٩/١؛ أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (ت٣٨٧هـ): إبطال الحِيَل (تحقيق: زهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ)، ص٥٣؛ محمد المسعودي: الحِيَل (مطابع الجامعة الإسلامية، السنة السابعة عشرة – العددان ٧١، ٧٢، رجب – ذو الحجة ١٤٠٦هـ)، ص١٠٨، ١٠٩؛ شريف الهلالي: مرجع سابق، ص١٦٤، ١٦٥.

(١٥) وضع الإمام «أبو بكر الخصَّاف الشيباني» كتاباً في الحِيَل الفقهية. واشتهر به, يقال: كتاب الخصاف في الحِيَل، الذي تعددت أبوابه وتنوعت حيله في مجالات البيع والشراء والضمانات، والوكالة والشفعة، والنكاح والخلع والزكاة، والصلح والوصية، والتقاضي والمعاوضات والأيمان التي يستحلف بها النساء أزواجهن وغير ذلك, مما جمعه المؤلف من الحِيَل نجدها في هذا الكتاب. وقد طُبع بالقاهرة ١٣١٤هـ.

(2) *Charles Burnett, Magic and Divination in the Middle Ages: Texts and Techniques in the Islamic and Christian Worlds (Aldershot, Great Britain and Brookfield, VT, USA: Variorum, 1996), pp. 1-2.*

(١٧) شريف الهلالي: مرجع سابق، ص١٦٤، ١٦٥.

(١٨) حسن الكرمي: المعجم الأكبر، (بيروت، مكتبة لبنان ١٩٨٧م)، ص٧١٠، ١٢٩٨؛ لطف الله قاري: مقدمة كتاب زهر البساتين في علم المشاتين (القاهرة، مكتبة الإمام البخاري، ٢٠١٢م)، ص٩.

(١٩) ابن منظور: لسان العرب ٢٣٨/٣، ٤٩٥/٣، ٦٩٦/١١؛ الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ): القاموس المحيط (بيروت، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٥م) ٣٣٤/١؛ الزَّبيدي «محمّد بن محمّد بن عبد الرزَّاق الحسيني»: تاج العروس من جواهر القاموس (مجموعة محققين، القاهرة، دار الهداية ١٩٩٩م) ٤٢٦/٩، ١٣٤/٣١.

(٢٠) عرفه الزَّبيدي بقوله: «المُشَعْوِذ: إذا خَفَّت يَداهُ بالتَّخاييلِ الكاذِبَة» وهذا التعريف ما يُعبَّر عنه حرفيًّا في الإنجليزية ب *Sleight of hand*. وتكتسب «خفة اليد» بممارسة الحِيَل وتَنمية المهارة العضوية، وبخاصة السرعة في حركة الأصابع (هذا هو المعنى الحرفي للأصل اللاتيني للكلمة الفرنسية *Prestidigitation*). للمزيد انظر: تاج العروس ١٣٤/٣١؛ محمد عزيز الحباني وآخرون: مُعجم العلوم الاجتماعية (تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م)، ص٣٣٨؛ أحمد زكي بدوي: مُعجم مُصطلحات العلوم الاجتماعية (بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٧م)، ص٤٠٤؛ سامية الساعاتي: السحر والسحرة، بحث في علم الاجتماع الغيبي (ط٢، القاهرة، دار قباء، ١٩٨٢م)، ص٨٢، ٨٣.

(٢١) طاش كبري زاده «أحمد بن مصطفىٰ»: مِفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم (ج١، تحقيق كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨م)، ص٣٧٠؛ محمد الجوهري: موسوعة التراث الشعبي العربي «المعتقدات والمعارف الشعبية» (القاهرة، سلسلة الدراسات الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٢م) ٣١٩/٥.

(٢٢) ابن دانيال الموصلي «شمس الدين محمد ابن دانيال الكحال» (ت٧١٠هـ): طيفُ الخيال (تحقيق: عمرو عبد العزيز منير، ط ١، القاهرة ٢٠١٦م)، ص٨٨.

(٢٣) السبكي: معيد النعم، ص١١٧.

(٢٤) المُشَعْوِذُ إذا خفَّت يَداهُ بالتَّخاييل الْكاذِبَةِ ففِعْله يُقالُ لَهُ الهُزَيْلَي، لأَنها هَزْل لا جِدَّ فيها. لسان العرب ٦٩٦/١١.

(٢٥) الزرخوني، «محمد بن أبي بكر بن عمر» (ت٨٠٨هـ): زهر البساتين في علم المشاتين (تحقيق: لطف الله قاري، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة ٢٠١٢م)، ص٩١.

(٢٦) علم تعلق القلب، وقد اعتمد المحتالون في هذا الباب على رغبة الناس بمعرفة مستقبلهم، فأوهموهم بامتلاك القدرة على كشف الغيب بواسطة عدة وسائل، منها: معرفة اسم الله الأعظم، أو طاعة الجن لهم.

(٢٧) وهو إخفاء شيء في شيء أو دكه فيه، ثم إظهاره كعمل خارق. منذر الحايك: مقدمة المختـــار، ص٢٢.

(٢٨) كان الحشيش المخدر وسيلة مهمة من وسائل المحتالين، والمقصود هنا هـــو حشيشـــة القنَّـــب الهندي، التي تؤكل أوراقها لخواصها المخدِّرة. وقد استخدمه المحتالون كوسيلة للفسق بـــأولاد الناس ونسائهم وسلب أموالهم. منذر الحايك: مقدمة المختار، ص٢٣.

(٢٩) ساسان: هو الكاهن الزردُاشتي الأعظم، وجد الملك أزدشـــير الأول مؤســـس الإمبراطوريـــة الساسانية، وبنو ساسان قد تعني الفرس، ولكنها هنا أصحاب الكُدية، وهم قوم يتجولـــون فـــي البلاد يتكسبون بالأدب أو الحِيَلة على الناس. وقد أطلق عليهم اسم «بني ساسان»، واشـــتهروا في العصر العباسي وتشمل كل المحتالين والمتسولين بأشكالهم وطرائفهم كافة. وقد خصص لهم الجوبري فصلًا كاملًا لكشف أسرار بني ساسان.

(٣٠) الشَّعْوذَةُ: خفَّةٌ في الْيَدِ وأُخَذٌ كالسِّحْرِ يُري الشيءَ بِغَيْرِ ما عَلَيْهِ أَصله في رأْيِ الْعَيْنِ؛ ورَجُـــلٌ مُشَعْوِذٌ ومُشَعْوِذٌ ولَيْسَ مِنْ كَلامِ الْبادِيَةِ. والشَّعْوذَةُ: السُّرْعَةُ، وقيلَ: هِيَ الْخفَّةُ في كُـــلِّ أَمْـــرٍ. والشَّعْوذِيُّ: رَسُولُ الأُمراء في مُهِماتِهِمْ على الْبَرِيدِ، وهو مُشْتَقٌّ مِنْهُ لِسُرْعَتِهِ. وقـــالَ اللَّيْـــثُ: الشَّعْوذَةُ والشَّعْوذيُّ مُسْتَعْمَلٌ ولَيْسَ مِنْ كَلامِ أَهل الْبادِيَةِ. لسان العرب ٤٩٥/٣.

(٣١) المُشَعْبِذُ، قالَ اللَّيْث: هو (المُشَعْوذُ) بِفَتْحِ الْواو وكسرها (وقد شَعْبَذَ يُشَعْبِذُ)، قالَ الثعـــالبي فـــي (الجنى المحبوب الْمُلْتَقط من ثمار الْقُلُوب): لا أَصل لقَولهم مشعْبذ، وإنما هو بِالْواو، ويكنى أَبا العَجَب، قالَ أَبو تَمام. ما الدَّهْرُ في فِعْلِه إِلَّا أَبُو العَجَبِ. لسان العرب ٢٣٨/٣؛ تـــاج العـــروس ٤٢٦/٩.

(٣٢) محسن جمال الدين: مخطوطة المختار، ص١٧٩، ١٨٠.

(٣٣) محمد الجوهري: موسوعة التراث الشعبي العربي ٣١٨/٥، ٣١٩.

(٣٤) يتألف الحد الأدنى لهذه الأدوات من سبع قطع: ثلاثة أحقاق (علب مجهزة تجهيزاً خاصًّا مـــن الداخل)، وثلاث بنادق، والرخمة التي ينقر بها على الدق. للمزيد انظـــر: الزرخـــوني: زهـــر البساتين، ص٩١.

(٣٥) الجوبري، عبد الرحيم بن عمر (ق٧هـ): المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار (تحقيـــق: منذر الحايك، دار صفحات، دمشق ٢٠١٤م)، ص٢١.

(٣٦) الجوبري: المصدر السابق، ص٢١٩.

(٣٧) تعتمد هذه الفئة على التكفيت للإيهام بتحويل المعادن الرخيصة إلى معادن نفيسة، واشتهرت القاهرة ودمشق في القرنين السادس والسابع الهجريين بهذا النوع من صناعة التكفيت، وهي كلمة فارسية من الفعل (كَفتن) بمعنى وضع مادة غالية الثمن في مادة أرخص منها ومختلفة عنها في اللون، ككفت النحاس والبرونز بالذهب والفضة، ومن التكفيت ما شاع بين العامة التعبير: «أنا أفهم الكُفت»، أي إنه رجل حاذق يفهم ما خَفي عليه. للمزيد انظر: أحمد رمضان أحمد محمد: المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية (القاهرة، وزارة التربية والتعليم ١٩٧٧م)، ص١١١؛ الجوبري: المختار، ص١١٧.

(٣٨) الْغِشّ.

(٣٩) الزرخوني: زهر البساتين، ص١٨٥.

(٤٠) الجوبري: مصدر سابق، ص١١٨.

(٤١) المصدر السابق، ص١١٧.

(٤٢) الإسكندري: الشيخ حسن محمد الإسكندري القرشي العدوي المتوفى في حدود سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٣م. صنف من الكتب الحِيَل البابلية للخزانة الكاملية أعني الملك الكامل الأيوبي. موضح أستار الكلل وفاضح أسرار الحِيَل. ألفه حين قدومه إلى بغداد للناصر لدين الله أحمد العباسي. انظر: الباباني: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت١٣٩٩هـ): هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (إستانبول، طبع بعناية وكالة المعارف، ١٩٥١م) ٢٨٠/١، ٢٨١.

(٤٣) الحسن بن محمد الإسكندري القرشي العبدري (ت٦٤٠هـ): الحِيَل البابلية للخزانة الكاملية (تحقيق: لطف الله قاري، الدوحة ٢٠١٧)، ص٩.

(٤٤) لطف الله قاري: مقدمة تحقيق كتاب الحِيَل البابلية، ص١٠. والكُلل هي الناموسيات.

(٤٥) السبكي: معيد النعم، ص١١٨.

(٤٦) الجوبري: مصدر سابق، ص٢١٩.

(٤٧) أوين ديفيز: السحر مقدمة قصيرة جداً (ترجمة: رحاب صلاح الدين، ط١، القاهرة، هنداوي للنشر ٢٠١٤م)، ص٥٧.

(٤٨) الحِيَل البابلية، ص١٠.

(٤٩) عبد الفتاح السيد الطوخي: سحر هاروت وماروت في الألعاب السحرية (القاهرة، مكتبة القاهرة، د.ت) ١/٥، ٦.

(٥٠) سحر هاروت وماروت، ص٦.

(٥١) الجوبري: المختار، ص٢٤٧.

(٥٢) الطوخي: مصدر سابق، ص٦.

(٥٣) إدوارد وليم لاين: عادات المصريين المحْدثين وتقاليدهم (ترجمة: سهير دسوم، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩م)، ص٣٩٧.

(٥٤) قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي (القاهرة، دار عين، ١٩٩٨م)، ص٢٢٩.

(٥٥) المقريزي «تَقي الدين أَبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ «: السُّلوك في مَعرفة دول الملوك (تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية١٩٩٧م) ٣٩٦/٣.

(٥٦) محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية (القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٣م)، ص٣٤٥.

(٥٧) أوليا چلبي: الرحلة إلى مصر والسودان وبلاد الحبش ١٠٨٢-١٠٩١هـ/١٦٧٢-١٦٨٠م (ترجمة: الصفصافي أحمد القطوري، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠م) ٣٨٦/١.

(٥٨) من ضمن ما ذكره أوليا چلبي: «بيانُ الأقلامِ المضحكةِ لأمين البحرين، وعدد خزائن مصر: «أن بها قلماً غريباً من أَقلام الأفندية، وهو قلم «أمين الخردة»: فَهو إدارة عجيبة؛ فلذا ذكرناها بَعد كُل الأقلام، وهذه الإدارة تَجمعُ كُل مَن في القاهرة من اللاعبين بالأقداح والدوارق والكئوس، والقائمين بالألعاب البهلوانية الدالة على القوة والرياضة، وكَذا اللاعبين بالطيورِ والحبال والنيران والخيول والحمير والحيات والثعابين، ورفع الأثقال، وتَرقيص القردة والنسانيس، وخيال الظل والقراكوز، ومصارعة الديكة، وأمور السيمياء، واللاعبين بالفئران والدببة، وكذا قراء الأَساطير والأقاصيص والمهرجين والمضحكين ووسطائهم من اللاهين واللاعبين». الرحلة ٣٨٦/١، ٣٨٧.

(59) *Frances E. Peters, "Hermes and Haran: The Roots of Arabic-Islamic Occultism", in Magic and Divination in Early Islam, ed. Emilie Savage-Smith (Aldershot, Hants, Great Britain and Burlington, VT, USA: Ashgate/Variorum, 2004), p.* 55.

(٦٠) أبو القاسم العراقي: عيون الحقائق وإيضاح الطرائق (مخطوط بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، ق٢).

(٦١) الجوبري: مصدر سابق، ص١١٧.

(٦٢) ابن الحاج التلمساني المغربي: شموس الأنوار وكنوز الأسرار الكبرى (ط١، القاهرة، مكتبة صبيح، د.ت)، ص١٢٣.

(٦٣) ابن دانيال الموصلي: طيف الخيال، ص١٧٥.

(٦٤) أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين المقدسي الدمشقي (ت٦٦٥هـ): الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (تحقيق: إبراهيم الزيبق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م) ٣٨٨/٢، ٣٨٩.

(٦٥) الجوبري: مصدر سابق، ص١٦٧.

(٦٦) ابن الدهان، محمد بن محمد بن سليمان بن غالب: إرخاء الستور والكلل في كشف المدكات والحِيَل وإيضاح الجد منها والهزل (مخطوط بمكتبة رضا رامبو بالهند، برقم ٢٥١٣)، ق١؛ منذر الحايك: مقدمة المختار، ص١٠.

(٦٧) الزرخوني: زهر البساتين، ص٤٤.

(٦٨) منذر الحايك: مرجع سابق، ص١٤.

(٦٩) الجوبري: مصدر سابق، ص١٣٤.

(٧٠) الزرخوني: مصدر سابق، ص٤٥.

(٧١) الزرخوني: نفسه، ص٤٤.

(٧٢) منذر الحايك: مقدمة المختار، ص١٤.

(٧٣) الحايك: المرجع نفسه، ص١٤

(٧٤) الربط: يسمى عند العرب «التأخيذ» هو أن يَعجِز الرجل المستوي الخِلقة وغير المريض عن إتيان زوجته. محمد الجوهري: موسوعة التراث الشعبي العربي ٢٧١/٥.

(٧٥) ابن دانيال الموصلي: طيف الخيال، ص١٧١.

(٧٦) الجوبري: المختار في كشف الأسرار، ص١٨٧-١٩٢.

(٧٧) أبو شامة: الروضتين ٣٨٩/٢.

(٧٨) هو والي قوص الأمير طقطبا أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وانتهى الأمر بقتل المشعوذة جزاء مَهارتها. انظر: المقريزي، تَقي الدين أبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ) ٣٥١/١.

(٧٩) ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد (ت٧٢٩هـ): معالم القربة في طلب الحسبة، (كمبردج، دار الفنون، د.ت)، ص٥٦، ص١٨٣.

(٨٠) تاج الدين السبكي: معيد النعم، ص٩١، ٩٢.

(٨١) ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري (ت٩٧٤هـ): الفتاوى الحديثية، (القاهرة، دار الفكر، د.ت)، ص٨٧.

(٨٢) أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري (ت٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة، دار الكتب والوثائق ١٩٦٠) ١٤١/١٠.

(٨٣) النجوم الزاهرة ١٥٠/١٠.

(٨٤) المصدر نفسه ١٦٨/١٠.

(٨٥) المقريزي: السلوك ٣٩٦/٣.

(٨٦) المصدر السابق ١٩/٤.

(٨٧) المصدر نفسه ٢٦/٤.

(٨٨) حياة ناصر الحجي: أحوال العامة في حكم المماليك، دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، (الكويت، دار القلم، ١٩٩٤م)، ص٣٣٨، ٣٣٩.

(٨٩) أحمد المحمودي: عامة المغرب، ص٥٨.

(٩٠) لطف الله قاري: مقدمة كتاب زهر البساتين، ص١١.

(٩١) النديم: الفهرست ٣٤٠/٢، ٣٤١؛ الخزانة البابلية، ص٧.

(٩٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت٨٠٨هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تحقيق خليل شحاتة، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م) ٦٦٣/١.

(٩٣) الشيخ بدرُ الدين الحنبلي البعلي (ت٧٧٧هـ): مُختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، (القاهرة ١٩٥٥م)، ص١٧٤؛ ابن خلدون: المقدمة ٣٩٨/١؛ وقال الشيخ بدر الدين الحنبلي: إن السحر من الكبائر، انظر مختصر الفتاوى، ص٤٩٥؛ إسماعيل عبد المنعم محمد قاسم: الأمراض الاجتماعية بين الطبقة الأرستقراطية المملوكية في مصر زمن المماليك البحرية (رسالة ماجستير غير منشورة، آداب عين شمس، ١٩٨٨م)، ص٣٠٠، ٣٠١.

(٩٤) يبدو أن هذه الحِيَلة كانت واسعة الانتشار في العالم؛ إذ ذكرها ابن بطوطة في سياق مشاهداته للشعوذة في الصين. انظر: ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي (ت٧٧٩هـ): رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، (الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ) ١٤٩/٤.

(٩٥) الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب (تحقيق: مجموعة محققين، إشراف: محمد حجي، الرباط، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٩٨١م) ١٧١/١١، ١٧٢.

(٩٦) ابن حجر الهيتمي: الفتاوى الحديثية، ص٨٧.

(٩٧) المصدر السابق، ص٨٧.

(٩٨) النيرنجات: مُعرب مِن «نيرنك»؛ وهو التمويه والتخييل. وهو إظهار غرائب الامتزاجات بين القوى الفاعلة والمنفعلة، وبالجملةِ مُؤلفة بين العالم الأكبر والأصغر لصدور آثار مطلوبة من الحب والبغض، والإقبال والإعراض، وأمثال ذلك، بكتاباتٍ مُخصوصة مؤلفة من الروحانيات المبثوثة في العالم، وإن كانت بكتاباتٍ مَجهولة الدلالات، فكأنها أرقام وحروف للأوائل، وخواصها مجهولة اللمية معروفة الآنية. وهو فَرع من فروع علم السحر، وهو علم يعرف به طريق الاحتيال في جلب المنافع. وتجب الإشارة إلى أنني لم أغير عنوان الكتاب من النارنجبات إلى النيرنجيات أو النيرجات كما تقدم لأني أردت أن أحافظ على عنوان الكتاب كما هو. انظر: طاش كبري زاده: مِفتاح السعادة، ص٣٦٥؛ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب چلبي (ت١٠٦٧هـ): كَشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (مكتبة المثنىٰ، بغداد ١٩٤١م) ٦٩٤/١؛ وانظر: اللسان والتاج (ن.ر.ج).

(٩٩) أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ/١٠١٣م): البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والسحر، (نشره ريتشارد مكارثي، بيروت، دار صادر، ١٩٥٨م)، ص٣٢؛ سامية الساعاتي: السحر والسحرة، ص٨٣؛ لطف الله قاري: مقدمة كتاب زهر البساتين، ص١١.

(١٠٠) تاج الدين عبد الوهاب السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص١١٧.

(١٠١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت٧٧٤هـ): البداية والنهاية (تحقيق: علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م) ٢٩٦/١.

(١٠٢) منها: «سحر الكذابين الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة، وسحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية، سحر الاستعانة بالأرواح الأرضية وهم الجن، سحر الاستعانة بخواص الأدوية في الأطعمة والدهون الخاصة، وسحر تعليق القلب عن طريق الإيهام بمعرفة الاسم الأعظم، وسحر السعاية والنميمة». للمزيد انظر: أحمد الشرباصي: حديث السحر في القرآن، (القاهرة، الهلال، عدد يناير، ١٩٧٥م)، ص١٥، ١٦.

(١٠٣) صنف علماء المسلمين أمثال ابن العربي الفقيه المالكي، وأحمد البوني صاحب «شمس المعارف الكبرىٰ»، السحر إلى صنفين: حقيقي، وغير حقيقي، ويسميه بعضهم بالسيمياء، وأصله «شيم به» وقيل إنه اسم الله تعالى بالعبرانية فعربوه بالسيمياء، ويُسمى السحر غير الحقيقي أيضاً بالأخذ بالعيون. للمزيد، انظر: سامية الساعاتي: السحر، ص١١١.

(١٠٤) أحمد الشرباصي: مرجع سابق، ص١٦؛ وانظر: سامية الساعاتي: السحر، ص١١١.

(١٠٥) قال القنوجي في أَبجد العلوم: من فروع السحر علم الكهانة. علم النيرنجات. علم الخواص. علم الرُّقىٰ. علم العزائم. علم الاستحضار. علم دعوة الكواكب. علم القَلْفَطيرات. علم الخفاء. علم الحِيَل الساسانية. علم كشف الدَّك. علم الشَّعْبَذة. علم تعلق القلب. علم الاستعانة بخواص الأدوية. انظر: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفي: ١٣٠٧هـ): أبجد العلوم (القاهرة، دار ابن حزم، ٢٠٠٢م)، ص٤٩.

(١٠٦) السقطي المالقي، محمد بن أحمد: آداب الحسبة (تحقيق: ليفيبروفنسال وكولان، باريس، المطبعة الدولية، ١٩٣١م)، ص٦٧؛ ابن عبدون «محمد بن أحمد التجيبي: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب» (تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي، ١٩٥٥)، ص٥٣؛ لطف الله قاري: مقدمة تحقيق الخزانة البابلية، ص٧.

(١٠٧) ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله: رسالة في الحسبة، «ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب» (تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م)، ص١١٣؛ الخزانة البابلية، ص٧.

(١٠٨) طاش كبري زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة، ص٣٧٠.

(١٠٩) سامية الساعاتي: مرجع سابق، ص٨٣.

(١١٠) ذَكَر ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية» أَنَّه «قَد زُج بالحلاج الحُسَين بن مَنصُور، وكان في حَبس السُّلطان؛ بِسِعايَة وقَعَت بِه، وذلك في وِزارَة عَلِيِّ بن عِيسَى الأُولَىٰ، وذُكِرَ عنهُ ضُرُوبٌ مِنَ الزَّندقَة، ووضع الحِيَل على تَضليل النَّاس، مِن جِهاتٍ تُشبِهُ الشَّعوذَةَ والسِّحرَ»، بخلاف الحقيقة. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية ١٥٨/١١.

(١١١) يختلف اللغويون في الكدية وأصلها، فيرى بعضهم أن الفعل (كدىٰ) بكاف مفتوحة ودال مهملة مشددة، بمعنى «سأل»، قد سمع في كلام العرب وليس معرباً ولا مولداً ولا محرفًا، ويرى البعض أنه ليس كذلك، وليست التكدية عند جماعة المكدين والمتسولين مجرد السؤال والاستجداء كما قد تفيده هذه الكلمة بمعناها الساذج فقد أخذت معنى اصطلاحيًّا متعدد الوجوه كثير الدلالة، فأصبحت تتضمن معنى الاحتيال للمال بمختلف الوسائل والأساليب غير المشروعة، وقد كان ظهور الكدية في المجتمع العربي منذ أيام الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ، حتى إن البغدادي يذكر أن للجاحظ كتابا يسمى (حِيَل المكدين). على أن الذي يظهر أن تعقد الحياة في القرن الرابع الهجري وشيوع المذاهب المختلفة فيه والغفلة التي أطبقت على العامة في ناحية الدين في ذلك العهد، قد مكن لهذه الطائفة أن يمتد نفوذها ويقوى سلطانها في ذلك العهد اسمًا اصطلاحيًّا جديداً هو (الساسانيون)، ويعود السبب في هذه التسمية إلى نشوء طائفة من المكدين من الساسانيين بعد انتهاء مملكتهم، فكانوا يطوفون في البلدان ويَقُولُون نحن من بنى ساسان فينتسبون إلى ملوكهم ثم يتذللون في السؤال ويذكرون تلاعب الدهر بهم فيقع الإشفاق عليهم والميل بالرزق لهم حتى شعر بمكرهم وخديعتهم فطردوا وصار الناس إذا رأوا سائلًا متمسكنًا قالوا: ساساني، وقيل: إن ساسان اسم رجل معين، وهو أول من أسس الكدية فنسبوا إليه، كما كان لديهم موهبة أدبية يحتالون بها على الناس كشأن ما نسميه في مصر «الأُدباتية»، وحتى مطلع القرن العشرين ارتبطت جماعات من المكدين «الشحاتين» بأنماط فنية تكاد تقترب من الدراما الشعبية، كان البعض منهم «لهم مواكب تسير في الطرقات يستدرون عطف النساء بغناء عامر بالأسى والشجن، كان أكبرهم سنًّا يتقدم الموكب بشعره الأشعث ويحمل بين يديه حجراً يدق به على صدره – الذي اسودَّ من كثرة الدق عليه – في إيقاع غنائي تحيط به مجموعة من الأطفال – في ثياب مهلهلة – يرددون بعد كل فقرة غنائية وكأنهم كورس مدرب – يا كريم يا رب. انظر: طه هاشم الدليمي: المكدون في التراث العربي (بغداد، مجلة التراث الشعبي، ع١١ السنة ٦، ١٩٧٥م)، ص١٠٣؛ سيد عشماوي: الجماعات الهامشية المنحرفة، ص٢٦.

(١١٢) للمزيد عن أسباب ازدياد أعداد اللاجئين والوافدين إلى مصر والشام وأثر ذلك، راجع: سحر السيد عبد العزيز: العراقيون في مصر في القرن السابع الهجري (الإسكندرية، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩١م)؛ البيومي إسماعيل: الوفود السياسية لمصر والشام إبان حكم سلاطين المماليك (مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد (٣٠)، يناير ٢٠٠٢م)، ص٥٠٥-٦٠٤؛ وانظر أيضاً:

- *Ayalon D: The wafidya in the Mamluk Kingdom (Studies on the Mamluks of Egypt, London,1977) pp.89-104.*

(١١٣) عطارد شكري: مصر المملوكية في بابات ابن دانيال (القاهرة، مجلة الفنون الشعبية، ع٨٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩)، ص٢٠٤.

(١١٤) الزرخوني: زهر البساتين، ص٩١.

(١١٥) مشتان، والجمع مشاتين: الأداة أو الجهاز الميكانيكي الذي يَستخدمه المنجمون (الذي يحتوي على خريطة لبروج السماء لكشف الطالع) وضاربو الأقداح (المشَّعْبَذون بكئوسه). انظر: رينهارتدوزي: تكملة المعاجم العربية (ترجمة: محمد سليم، وجمال الخياط، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ص١٤٥٥؛ لطف الله قاري: زهر البساتين في علم المشاتين، ص٩.

(١١٦) لطف الله قاري: مرجع سابق، ص٩.

(١١٧) الوطواط، أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي (ت٧١٨هـ): غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة (تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م)، ص٢٧٠.

(١١٨) السَّدَنَةُ: جمع السَّادِنُ، وهو خادم بيت الصنم، وخادم الكعبة. ابن منظور: لسان العرب ٢٠٧/١٣.

(١١٩) حَواءٌ وحاوٍ: الذي يَجْمَعُ الحَيَّات. لسان العرب ٢٠٨/١٤.

(١٢٠) الزَّجْرُ: العِيافَةُ، وهو ضَرْبٌ مِنَ التَّكَهُّن. لسان العرب ٣١٩/٤.

(١٢١) الخَطُّ: خَطُّ الزَّاجِرِ، وهو أَن يخُطّ بإِصْبَعِه في الرَّمْلِ ويَزْجُر. لسان العرب ٢٨٨/٧.

(١٢٢) الكاهِن: كُل مَن يَتعاطى عِلماً دَقِيقًا، ومِن العَرَبِ مَن كان يُسمي المنجم والطبيب كاهِنًا، والَّذِي يَقوم بِأَمر الرجل، ويسعَى في حاجته. لسان العرب ٣٦٢/١٣.

(١٢٣) العيافة: زَجر الطير، والتفاؤل بأَسمائها وأَصواتها وممرها، والظَّن والحدس. لسان العرب ٣١٩/٤.

(١٢٤) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الليثي، أبو عثمان (ت٢٥٥هـ): الحيوان، (ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ) ٤/٤٤٠؛ الوطواط: غرر الخصائص الواضحة، ص٢٦٨.

(١٢٥) لطف الله قاري: مرجع سابق، ص١٠.

(١٢٦) علم: كشف الدَّك في كتاب (مفتاح السعادة): هو علم تعرف منه الحِيَل المتعلقة الصنائع الجزئية من التجارات، وصنعة السمن، واللازورد، واللعل (٢/١٤٩٠) والياقوت، وتغرير الناس في ذلك. ويضيف حاجي خليفة: «ولما كان مبناه محرماً أضربنا عن تفصيله، وإن أردت الوقوف عليه، فارجع إلى كتاب (المختار في كشف الأستار)، فإنه بالغ في كشف هذه الأسرار». كشف الظنون ٢/١٤٨٩.

(١٢٧) حجر جبلي صقيل أسود براق يقوي البصر بالنظر إليه، انظر: القللوسي (أبو بكر محمد بن محمد الأندلسي: تُحف الخواص في طُرف الخواص في صنعة الأمدة والأصباغ والأدهان (تحقيق: حسام أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧م)، ص٧٦.

(١٢٨) النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي (ت٤٣٨هـ): الفهرست (تحقيق: إبراهيم رمضان، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٧م)، ص٣٧٨.

(١٢٩) الجوبري: المختار، ص٤٢.

(١٣٠) المصدر السابق، ص٤٣.

(١٣١) نفسه، ص٥٢.

(١٣٢) نفسه، ص٤٦-٤٩.

(١٣٣) نفسه، ص٦٢-٦٣.

(١٣٤) الجوبري: المختار، ص٦٤.

(١٣٥) المصدر السابق، ص٩١.

(١٣٦) الباقلاني: البيان، ص٥٧؛ ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص٣٤٠.

(١٣٧) الجوبري: المختار، ص٤١-٥٢.

(١٣٨) المصدر السابق، ص٥٣-٧٤.

(١٣٩) نفسه، ص٧٥-٨٠.

(١٤٠) نفسه، ص٨١- ٨٦

(١٤١) نفسه، ص٨٢- ٩٠.

(١٤٢) الإسماعيلية: فرقة من فرق الشيعة تقول بإمامة إسماعيل بن جعفر الصـادق بعـد أبيـه ولا تعترف بإمامة ابنه الأصغر موسى الكاظم كما تقول الموسوية. للمزيد ينظر: الرازي، أحمـد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي (ت٢٧٥هـ /٨٨٨م)، الزينة فـي الكلمـات الإسلامية، (مخطوطة نسخة مصورة في مكتبة المتحف العراقي تحت رقـم ١٣٠٦)، ورقـة رقم ٢٣١-٢٣٢؛ الشيرازي، محمد الموسوي، الفرقة الناجيـة (تعريـب وتحقيـق: فاضـل الفراتي، ط١، بغداد، مكتبة الأمين - ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) ٣٥٤/٢-٣٥٥.

(١٤٣) الجوبري: المختار في كشف الأسرار، ص١٧٩؛ القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (١٤ جزءاً، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م) ٢٣٨/١٣.

(١٤٤) الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ): المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك (تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م)، ٦٥/١٧.

(١٤٥) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت٧٤٨هـ): تاريخ الإسلام ووَفيات المشاهير والأعلام (تحقيق: بشار عوَّاد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٣م) ٢٣٤/١٤.

(١٤٦) ابن وصيف شاه: جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور في أخبار الديار المصـرية المعروف بفضائل مصر وأخبارها (تحقيق محمد زينهم، ط١، القاهرة، الـدار الثقافيـة للنشـر، ٢٠٠٤م)، ص٩٤، ٩٥.

(١٤٧) عمرو عبد العزيز منير: العمران المصري بين الرحلة والأسطورة (القاهرة، الهيئـة العامـة للكتاب، ٢٠١١م)، ص٢٤٠.

(١٤٨) المقريزي: السلوك ٥٥/٤.

(١٤٩) المقريزي، تَقي الدين أبو العباس أحمد بن على بن عبـد القـادر (ت٨٤٥ هـ): درر العقـود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة (تحقيق: محمـود الجليلـي، ج٣، بيـروت، دار الغـرب الإسلامي، ٢٠٠٢م)، ص١٤٩.

(١٥٠) أبو شامة: الروضتين ٣٨٩/٢.

(١٥١) ابن الدهان: إرخاء الستور والكلل، ق١؛ المقريزي: السلوك ٥٥/٤.

(١٥٢) ابن حجر: الفتاوى الحديثية، ص٨٧.

(١٥٣) ابن عبدون، آداب الحسبة، ص٤٠.

(١٥٤) العاملي: الكشكول ١٣٨/٢.

(١٥٥) ابن عبدون: مصدر سابق، ص٤٠.

(١٥٦) أوين ديفيز: السحر مقدمة قصيرة جدًّا، ص٥٩.

(١٥٧) الرسائل، ص١٠٥.

(١٥٨) اليوسي: زهر الأكم ٤٢/١.

(١٥٩) إخوان الصفا: الرسائل (تحقيق: بطرس البستاني، بيروت، دار صادر ١٩٥٧)، ص١٠٥.

(١٦٠) أوين ديفيز: السحر مقدمة قصيرة جدًّا، ص٥٩.

(١٦١) العاملي: الكشكول ١٣٧/٢.

(١٦٢) السبكي: معيد النعم، ص١٠١؛ الونشريسي: المعيار المعرب ٦٩/١.

(١٦٣) ابن عبد الرؤوف: مصدر سابق، ص١١٣.

(١٦٤) أحمد محمد الشحاذ: الملامح السياسية في حكايات ألف ليلة وليلة، (بغداد، منشورات وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٧م)، ص٣٤٧.

(١٦٥) طلال حرب: بنية السيرة الشعبية، وخطابها الملحمي في عصر المماليك (ط١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٩م)، ص٣٥٤.

(١٦٦) المرجع السابق، ص٧٦.

(١٦٧) مِن المعروف أَن سيف بن ذي يزن – في التراث التاريخي العربي – ملك من ملوك التبابعة الحميريين، وبَطل من أبطال التحرير اليمني، عندما أعلن الثورة سنة ٥٧٥م؛ للتخلص من نير الاستعمار الحبشي لبلاده، بقيادة مَلكها اليهودي ذي نواس، على نحو ما رواه لنا وهب بن منبه في «التيجان»، وتُعد تلك السيرة تحديداً مِن أخصب السير الشعبية العربية، والتي امتلأت بالعناصر الأسطورية المتعددة والمتنوعة، وأكثرها لجوءاً إلى الخيال الجامح، الذي يشي في الكثير من مواضعها بالاتكاء على الفكر الأسطوري مرجعيةً فكرية، وعلى بعض الحوادث الأسطورية المنضفرة داخل بنيتها. ويَكاد يتفق مُعظم الباحثين في مجال الأدب الشعبي العربي على أنه، رغم الأحداث في السير الشعبية العربية تَتحرك على خلفيات تاريخية أو شبه تاريخية، تُمثل كل منها حلقة من حلقات الصراع بين الشعب العربي وبين أعدائه، فإن تلك الأحداث؛ تنم عن أصول ميثولوچية ومعتقدات دينية وطقوس وممارسات سحرية قَديمة

عرفتها المجتمعات القديمة، التي شكلت فيما مَضى حضارات المنطقة العربية. انظر: محمد رجب النجار: الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي، (سلسلة الدراسات الشعبية العدد (١١٠)، القاهرة، هيئة قصور الثقافة، ٢٠٠٧م)، ص٢٠٥؛ كارم محمود عزيز: الأسطورة فجر الإبداع الإنساني، (سلسلة الدراسات الشعبية، العدد (٦٦)، القاهرة، هيئة قصور الثقافة ٢٠٠٢م)، ص٣٧١-٣٧٣.

(١٦٨) عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م)، ص٣٣٩.

(١٦٩) طلال حرب: مرجع سابق، ص٣٣٧، ٣٣٨.

(١٧٠) الجوبري: مصدر سابق، ص٨٥.

(١٧١) السيرة الهلالية: مِن القصص الشعبي الذي شاع في مصر، وقد بدأت هذه السيرة في صورة غنائية، ثُم أخذت صورة قصصية منذ القرن السادس الهجري. وتدور أحداث هذه السيرة حول أسرة بني هلال، التي انتقلت مِن نَجد إلى البلاد الإسلامية المختلفة، واستقر بعضها بمصر، وتَفرق الكثيرون منها في الشمال الأفريقي والأندلسي، وكانت لهم وقائع في تونس. وقد صورت هذه القصة بعض جوانب الشخصية المصرية مِن خِلال السخرية التي عامَل بها المصريون حكامهم، كما تبدو في هذه العبارة التي أَطلقها أحد المصريين مُعلقًا على طَمع الهلاليين في حكم مصر والاستحواذ عليها؛ حيث قال: «ولكن العرب لا يملؤون أعين المصريين»، كَما أن الشعب المصري قد هَذَّب هذه السيرة، وحضَّرَها وارتفع بها، ومصَّرها رغم نواتها العربية. عبد اللطيف حمزة: الأدب المصري مِن قيام الدولة الأيوبية حتى مجيء الحملة الفرنسية، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب, ٢٠٠٠م)، ص٢٦٤-٢٧٣.

(١٧٢) طلال حرب: مرجع سابق، ص٧٧، ٧٨.

(١٧٣) مجهول: سيرة الملك الظاهر بيبرس، (دمشق، مكتبة الحضارة ومكتبة المهايني، د.ت)، ص٢٣٢.

(١٧٤) السمندل أو السمندر: طائر يكثر بالهند لا يحترق بالنار، فيما زعمُوا، ونسيج من ريش بعض الطيُور لا يحترق. انظر: المعجم الوسيط ٤٥٢/١.

(١٧٥) مَجهول: تغريبة بني هلال (بيروت، المكتبة الثقافية، د.ت)، ص٧٧.

(١٧٦) تغريبة بني هلال، ص٧٨.

(١٧٧) ابن شُهيد الأندلسي: الباهر في عجائب الحِيَل (تحقيق: عمرو عبد العزيز منير، القاهرة، مجلة الثقافة الجديدة العدد ٣٠٠، ٢٠١٥م)، ص٦٦.

(١٧٨) الجوبري: المختار، ص٢٠١-٢٠٤.

(١٧٩) النيرنجات: مُعرب مِن نيرنك؛ وهو التمويه والتخييل. انظر: طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفىٰ: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ص٣٦٥؛ كشف الظنون ٦٩٤/١؛ وانظر: اللسان والتاج (ن.ر.ج).

(١٨٠) مارينا وورنر: السحر الأغرب مشاهد فاتنة من وحي ألف ليلة وليلة (ترجمة: عبلة عودة، أبو ظبي، مشروع كلمة ٢٠١٦م)، ص١٤٤، ١٥٤.

(١٨١) ألف ليلة وليلة، (ج٢، بيروت، دار صادر طبعة أصلية وكاملة، د.ت)، الليلة ٧١٠.

(١٨٢) ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، (بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠م)، ٢٠٢، ٢٠٣.

(١٨٣) مارينا وورنر: السحر الأغرب، ص١٧٧.

(١٨٤) أوين ديفيز: السحر، ص٥٤.

(١٨٥) الجوبري: المختار، ص١٠٥، ١٢٠.

(١٨٦) (السَّلَبُ) بِفَتحِ اللَّامِ المَسلُوبُ. انظر: مختار الصحاح ١٥١ (س.ل.ب).

(١٨٧) ابن دانيال الموصلي: طيف الخيال، ص١٥٠.

(١٨٨) المجريطي، أبو القاسم مسلمة بن أحمد (٣٣٨هـ -٣٩٨هـ) فلكي وكيميائي ورياضياتي أندلسي. شارك في ترجمة كتاب بطليموس في الفلك، وحسَّن ترجمة المجسطي، وطوَّر جداول الخوارزمي الفلكية، وقدّم تقنيات في علمي المساحة والتثليث.

(١٨٩) المجريطي، أبو القاسم مسلمة بن أحمد: غاية الحكيم (نشر: محمود نصار، القاهرة، مكتبة الجمهورية العربية، د.ت)، ص٢.

(١٩٠) سعيد عبد الفتاح: المرجع السابق، ص٢٦٩.

(١٩١) الجوبري: مصدر سابق، ص٩٦.

(١٩٢) ابن وصيف شاه: مصدر سابق، ص٩٤، ٩٥.

(١٩٣) يبدو أنه من أمراء المماليك مع أن المشهور بهذا الاسم هو أيبك التركماني زوج شجرة الدر وسلطان مصر. وقد ذكره الجوبري دون تمييز لصفته.

(١٩٤) الجوبري: المختار، ص١٣١، ١٣٢.

(١٩٥) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١٩٧/٤.

(١٩٦) محمد بن أبي بكر بن عمر الزرخوني المعروف بسماقة.

(١٩٧) المقريزي: درر العقود، ١٤٩/٣.

(١٩٨) تَم تَحقيق الكتاب، وطبع بالقاهرة ٢٠١٢.

(١٩٩) لطف الله قاري: مقدمة كتاب زهر البساتين، ص٢٠.

(٢٠٠) هو جولجين مِن خواص الناصر محمد بن قلاوون، ركن إلى أحد الدجالين والمشعوذين يدعى «النجم الخطيبي»، وخالطه فعمل له مِن الشعوذة شيئًا، فانبهر بـه وصـدقه، وكـان الـنجم الخطيبي يعلم آثارًا في جسم جولجين؛ فَذكرها له ونسب إليه معرفتهـا بطريقتـه، وزاد أنـه سيصير سلطانًا، فاغتر وصارح أترابه، بما أسره إليه النجم المشعوذ، واشتهر أمره، حتى بلغ السلطان فخاف على نفسه، ووسط جولجين سنة ٧١٥هـ. انظر: ابن حجر العسقلاني، الحـافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (بيروت، تصحيح سالم الكرنكوي، دار صادر ١٩٦٧م)، ٥٤٣/١.

(٢٠١) اتصل بعضهم بالسلطان الناصر حسن، فاتخذه الأخير لنفسه، حظي عنده وأخبره بالمغيبـات وعمل السيمياء، وهو محمد بن أبي الثناء بن ماضي، المعروف بابن الهرمـاس، وكـان لـه طرف من معرفة السيمياء. انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ٤١٣/٣.

(٢٠٢) المقريزي: السُلوك ٧١٦/٢؛ إسماعيل عبد المنعم محمد قاسم: الأمـراض الاجتماعيـة بـين الطبقة الأرستقراطية المملوكية، ص٣١٣.

(٢٠٣) مَسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي (ت٥٨٩هـ) صاحب الموصل وسنجار في أيام صلاح الدين الأيوبي.

(٢٠٤) أبو عامر أحمد بن عبد الملك الأندلسي المعروف بابن شُهيد (ت٤٢٦هـ)، هو الشاعر والأديب المشهور، صاحب رسالة «الزوابع والتوابع»، ورسالة النارنجيات هذه جزء من كتابه «كشف الدَك وإيضاح الشك»، وقَد ذَكره «الجوبري» ضِمن الكُتب التي رَجع إليها. انظر: المختـار، ص٢٢.

(٢٠٥) الجوبري: المختار في كشف الأسرار، ص٢٢، ٢٣.

(٢٠٦) مثل الأمير سيف الدين قَليج الذي أعطى للجوبري مقابل كتابه «المختار في كشف الأسرار». حيث حصل الجوبري منه على مكافأة لا ترتقي لما كان متوقعًا، لكن الجوبري كان قانعًا بها، بدليل ما قاله عن الأمير سيف الدين من أنه: «أنعم وتفضل، وفي هذا القدر كفاية». الجوبري: المختار، ص١٦٧.

(٢٠٧) مثل كتاب: «الباهر في عجائب الحِيَل» الذي كان قد وصل إلى مقتنيات السلطان أحمد الثالث.

(٢٠٨) سامي الصقار: كتاب المخترع في فنون من الصنع، (الرياض، مجلة الدارة، مج٢١، ع١، ١٩٩٥م)، ص٧٩.

(٢٠٩) ابن رسول، المظفر يوسف بن عمر بن علي (ت٦٩٤هـ): المخترع في فنون من الصنع (تحقيق: محمد عيسى صالحية، الكويت، مؤسسة الشراع، ١٩٨٩م).

(٢١٠) ابن رسول: المخترع، ص٢٠١-٢١٥.

(٢١١) أستدار: لفظ مركب من «أستد» الأخذ و«دار» أي الصاحب والمتولي، أي: متولي الأخذ؛ لأنه يتولى قبض المال السلطاني. وصاحب هذا المنصب هو القائم على الشؤون الخاصة بالسلطان، والمتحدث في أمر البيوت السلطانية، من مطابخ وشرابخانه، وغلمان، وحاشية. انظر: حسان حلاق، عباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩١م)، ص١٧.

(٢١٢) الملك الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون تاسع سلاطين المماليك البحرية، لقب بأبو المعالي، وأبو الفتح، جلس على تخت السلطنة ثلاث مرات.

(٢١٣) هو الأستادار الجاولي عام ٧٠٤ هـ. للمزيد انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة ١٨٧/٤؛ إسماعيل عبد المنعم: الأمراض الاجتماعية، ص٣١٣.

(٢١٤) الجوبري: المختار، ص٩١.

(٢١٥) المدكَّات من حِيل المكدين وفاعلها هو المدكك: ومَن دكك أَو فَكك أَو بَلغك بالحرِّ؛ المدكك: الذي يُخرج اللوى من العصيان ويحتال على مَن به وجع الضرس، حتى يجعل دود الجبن فيما بين أسنانه ثُم يُخرجه ويوهم أنه أخرجه بالرقية؛ وفكك: إذا فك السلاسل على الطريق؛ بلفك: إذا جر الخواتيم بالإبريسم الرقيق. للمزيد انظر: طه الدليمي: المكدون في التراث العربي، ص١٠٧.

(٢١٦) ابن دانيال الموصلي، شمس الدين محمد ابن دانيال الموصلي الكحال (ت٧١٠هـ): طيفُ الخيـــال، ص٧٩.

(٢١٧) الظاهر سيف الدين چقمق أو چمقمق العلائي الظاهري أبو سعيد، هــو ســلطان مــن المماليــك البرجية، تولى حكم مصر في الفترة من ٨٤٢هـ إلى ٨٥٧هـ. وهو الرابع والثلاثون من ملــوك الترك، والعاشر من ملوك الشراكسة.

(٢١٨) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري، ص٢٦٩.

(٢١٩) أحمد المحمودي: عامة المغرب، ص١٤٠.

(٢٢٠) الطرطوشي، محمد بن الوليد بن محمد بن خلف: الحوادث والبدع (تحقيق: على حسن الحلبي، القاهرة، دار ابن الجوزي، ١٩٩٨م)، ص٨٠.

(٢٢١) الجوبري: المختار في كشف الأسرار، ص٨٧.

(٢٢٢) حاجي خليفة: كَشف الظنون ٦٩٤/١؛ سيد عشماوي: الجماعات الهامشــية، مرجــع ســابق، ص٩٤.

(٢٢٣) الجوبري: المختار في كشف الأسرار، مصدر سابق، ص٨٧.

(٢٢٤) الجوبري: مصدر سابق، ص١٢٠.

(٢٢٥) المصدر السابق، ص٥، ص٧٠.

(٢٢٦) نفسه، ص٨٨.

(٢٢٧) الجوبري: المختار، ص٥٠.

(٢٢٨) كارستنيبور: رحلة إلى بلاد العرب وما حولها، (ج١ «الرحلة إل مصر» ترجمة مصــطفى ماهر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م)، ص٣٢٠؛ وانظر: اللعبة أيضاً عند إدوارد وليم لاين: عادات المصريين المحدثين، ص٣٩٧.

(٢٢٩) المؤرخ العثماني مصطفى عالي غاليبولي لي ١٥٤١-١٦٠٠، المنسوب إلى مدينة غــاليبولي التي فتحها السلطان العثماني أورخان عام ١٣٥٤. وهو كرواتي الأصل، عمل كاتباً للسلطان سليم الثاني.

(٢٣٠) مصطفى عالي: موائد النفائس في قواعد المجالس، (ترجمة حازم سعيد محمد منتصر، ضمن دراسة نقدية وترجمة إلى العربية (الزقازيق، رسالة ماجستير – غير منشورة – قســم اللغــة التركية، جامعة الأزهر ٢٠٠٣م)، ص٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨.

(٢٣١) مصطفى عالي: موائد النفائس في قواعد المجالس، ص٢١٨

(٢٣٢) الجوبري: المختار، ص٩١.

(٢٣٣) سيد عشماوي: الجماعات الهامشية، ص١٧.

(٢٣٤) يقول برايس دافين: «رأيتُ هؤلاء الأولاد على صهوات الجياد الفاخرة المزركشة، يُطاف بهم أنحاءَ المدينة، ويَتقدمهم موكبٌ حاشد، وعلى رأس هذا الجمع رجلٌ يَحمل عصاً كَبيرةً مزينة بالأشرطة والأزهار، ويتبعه عدة مُشعوذين. انظر: بريس دافين: إدريس أفندي في مصر (ترجمة: أنور لوقا، القاهرة، دار أخبار اليوم، ١٩٩١م)، ص٤٧.

(٢٣٥) القزويني «زكريا بن محمد بن محمود «: آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٩م)، ١٩١/١.

(٢٣٦) الجوبري: المختار، ص٢٥٤.

(٢٣٧) صيدنايا: بلدة قديمة شمال دمشق، تضم كنيسة مشهورة وأديرة. الجوبري: المختار، ص٨٣.

(٢٣٨) محمد ألتونجي: مقدمة كتاب المختار في كشف الأسرار، (الكويت، دار الكتاب الجامعي، ١٩٩٦م)، ص٣.

(٢٣٩) الجوبري: المختار، ص١٨٧.

(٢٤٠) المصدر السابق، ص٧٨.

(٢٤١) نفسه، ص٨٤.

(٢٤٢) نفسه، ص١٤.

(٢٤٣) المقريزي: السلوك ٣٦/٤.

(٢٤٤) الجوبري: المصدر السابق، ص٢٦٠.

(٢٤٥) أشار إليها في طيف الخيال بقوله على لسان أحد شخوص باباته: «فَيَقُولُ الأمير وصال: أَيْنَ تِلْكَ الأيام التيكانت مواهب، وكانت بإسعاف الأحبة حبايب. وأَيْنَ أوقات المعشوق، والاجتماعات بباب اللوق».

(٢٤٦) هو الحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي، المعروف بليون الأفريقي، صاحب المصنف الجغرافي التاريخي العظيم «وصف إفريقيا». ولد في مدينة غرناطة سنة ٨٣٩هـ /١٤٨٨م. وقد شاهد، في زيارته للقاهرة في ربض باب اللوق «الأزبكية» الكثيرَ من اللاعبين والحواة ومُدربي الحيوان، والعديد من المشعوذين وأصحاب الحِيَل، وما كانوا يُقدمونه مِن عُروضٍ

مُتنوعةٍ؛ للترويح عن النفوس. ابن الوزان، الحسن بن محمد الوزان الزياتي، المعـروف ب: ليون الإفريقي: وصف إفريقيا، (ترجمة عبد الـرحمٰن حميـدة، القـاهرة، مكتبـة الأسـرة، ٢٠٠٥م)، ص٥٨٣.

(٢٤٧) ابن الوزان: وصف إفريقيا، ص٥٨٣.

(٢٤٨) لاعبو خيال الظل.

(٢٤٩) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ٩٦/٣.

(٢٥٠) الخطط ٢٠٣/٣.

(٢٥١) المقريزي: الخطط ٢٠٢/٣.

(٢٥٢) المصدر السابق ٢٠٣/٣.

(٢٥٣) نفسه، ٩٦/٣.

(٢٥٤) الونشريسي: المعيار المعرب ١٧١،١٧٢/١١.

(٢٥٥) المقريزي: المصدر السابق ٩٦/٣.

(٢٥٦) ابن الحاج: المدخل ١٤٦/١.

(٢٥٧) الجبرتي، عبد الرحمٰن بن حسن (ت١٢٣٧هـ): تاريخ عَجائب الآثار في التـراجم والأخبـار، (بيروت، دار الجيل، ١٩٩١م) ٢٩٠/٢.

(٢٥٨) أوليا چلبي: الرحلة إلى مصر والسودان وبلاد الحبش، ص٥٣.

(٢٥٩) نبيل جميل قرحيلي: الاحتفالات في عصر المماليك، (دمشـق، رسـالة ماجسـتير – غيـر منشورة، قسم التاريخ، جامعة دمشق، ٢١٠م)، ص٩٦.

(٢٦٠) العياشي، أبو سالم عبد الله بن محمد: الرحلة العياشية، (ج١، تحقيق سعيد الفاضلي، سـليمان القرشي، أبو ظبي، دار السويدي، ٢٠٠٥م)، ص٢٦٦.

(٢٦١) ستانلي لينبول: سيرة القاهرة (ترجمة حسن إبراهيم، على إبراهيم حسن، القـاهرة، المركـز القومي للترجمة، ٢٠١١م)، ص٤١.

(٢٦٢) عبد الجبار أحمد محمد العملة: نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز الحسامي الناصـري، (نابلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح ٢٠٠٠م)، ص٣٤٨.

(263) *Conder: clade. Tent Work in Palestine, London,1889. p. 312.*

(٢٦٤) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ٣٨٨/٢، ٣٨٩.

(٢٦٥) يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربيني: هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف (القاهرة، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٣٠٨ هـ)، ص٣٧٠.

(٢٦٦) تميزت هذه المؤلفات بأساليب حكي جديرة بالدراسة.

(٢٦٧) لطف الله قاري: مُقدمة كتاب زهر البساتين في علم المشاتين، ص٩؛ نصوص نادرة من التراث العلمي، ص٢٨١.

(٢٦٨) محمد بن أبي بكر الزرخورني: زهر البساتين في علم المشاتين، ص٤٣؛ حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٩٥٨/٢.

(٢٦٩) المجريطي: غاية الحكيم، ص٢.

(٢٧٠) يشير الجوبري إلى هذا المعنى بقوله: «فليعلم من وقف على كتابي هذا أني لم أترك فنًّا من الفنون ولا علماً من العلوم إلا وقد باشرته، وكشفت سره، وسر من ذهب إليه، فليعلم وليحذر نفسه، فافهم ذلك». المختار، ص١٠١.

(٢٧١) ذكرها أغلب الذين كتبوا في هذا الفن.

(٢٧٢) الجوبري: المصدر السابق، ص٥.

(٢٧٣) الجوبري: مصدر سابق، ص٤، ص١٩، ص٢٠، ص٢١.

(٢٧٤) منذر الحايك: مرجع سابق، ص١٩.

(٢٧٥) الجوبري: مصدر سابق، ص٩٠.

(٢٧٦) في إنجلترا تجاسر اثنان من الشكوكيين الإنجليز، هما النبيل الإليزابيث يريجالند سكوت (تقريباً ١٥٣٨م–١٥٩٩م)، وأديب منتصف القرن السابع عشر الميلادي/ الحادي عشر الهجري توماس آدي، وخاطرا بإبداء رأيهما بسبب انزعاجهما من البؤس الذي تسببه محاكمات الساحرات في مجتمعاتهما، كان سكوت أكثر الاثنين مباشرة وصراحة في رفضه إمكانية وجود السحر الشيطاني والاتصالات بالأرواح والمعجزات، لكن كلاهما ركز تركيزاً كبيراً على فن الحواية أو ما نطلق عليه اليوم «سحر المسرح»، وكانا – من خلال شرح كيفية تنفيذ الحِيَل – يأملان في أن يثبتا أن العديد من المظاهر التي تنسب للسحر أو الشعوذة يسهل تقليدها من خلال بعض الأدوات وخفة اليد، وقد أخذ سكوت على عاتقه المهمة غير الهينة لتعلم خدع وأسرار المهنة، مثلما فعل الجوبري في القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي، بحيث يؤديها كما يؤديها العديد من السحرة المتجولين الذين يجوبون الأسواق

والمهرجانات، لكنه شعر بوخز الندم على كشفه ألاعيبهم و«اعتراض سـبيل عـيش هـؤلاء المساكين بذلك»، إلا أنه أنزل وابلًا من الازدراء والإساءة بمن كانت فـي رأيـه مجموعـة المحتالين الرئيسية الأخرىٰ، قاصداً بها مجموعة رجـال الـدين الكاثوليـك. كـان الكُتـاب البروتستانتيون يروق لهم أن يوضحوا كيف يستخدم رجال الكهنوت الخدع لحمل الناس علـى تصديق فعالية ما يمارسونه من طرد للأرواح الشريرة أو جعلهم يتخيلون أنهم فـي حضـرة أرواح الموتىٰ، كي يدعموا الإيمان بمفهوم التطهر الذي يدر على الكهنوت المال الوفير. وهو ما يتشابه بالدور الذي سبقهم إليه الجوبري في كشف خدع مَن يدعي النبوة والمشيخة والتدثر بثياب الدين. للمزيد انظر: ديفيز، أوين: السحر مقدمة قصيرة جداً، ص٥٥.

(٢٧٧) الجوبري: مصدر سابق، ص٤، ٥.

(٢٧٨) منذر الحايك: مرجع سابق، ص١٧، ١٨.

(٢٧٩) المرجع السابق، ص١٩.

(٢٨٠) الجوبري: المختار، ص١٥٥.

(٢٨١) منذر الحايك، مرجع سابق، ص٢٠.

(٢٨٢) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيـان المائـة الثامنـة، (اعتناء: محمد عبد المعيد خان، الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٢م) ١٠٠/٦.

(٢٨٣) ابن فرحون: الديباج ٢٧٣/١.

(٢٨٤) الجوبري: مصدر سابق، ص٩١ –١٠١.

(٢٨٥) ذكرها النديم في «المقالة الثامنة: في الأسمار والخرافات والعـزائم والسـحر والشـعوذة»، الفهرست ٣٦٩/١.

(٢٨٦) شُهيد: بضم الشين المثلثة، وفتح الهاء، وسكون الياء المثناة من تحتها، وبعدها دال مهملة.

(٢٨٧) ابن بشكوال: الصلة، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٦٦م) ٣٥٧/٢؛ وابن حيان: المقتبس، (تحقيق محمود مكي، بيروت، دار الكتاب العربـي، ١٩٧٣م)، ص٤٤٧؛ وعبـد الله سـالم المعطاني: ابن شُهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي، (مكة المكرمة، رسالة ماجستير غيـر منشورة، قسم الدراسات العليا العربية، جامعة الملك عبد العزيز. ١٩٧٧م)، ص١٥.

(٢٨٨) قال الجوبري: «ثُم قرأت جميع الكتب الموضوعة.. مثل الباهر وغيرهما من النواميس، ثُـم أخذت في كشف دكها فقرأت كتاب ابن شُهيد المغربي في كشف الدَّك وإيضاح الشك». انظر: المختار، ص٢٢.

(٢٨٩) ورد في إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون باسم: «عيون الحقائق وكشف الطرائق» لأبي القاسم العراقي محمد بن أحمد السماوي وقيل السمانوسي، أوله: الحمد لله الذي أطلع لنا... إلخ. صنفها لأحمد بن الملك الظاهر أبي سعيد چقمق. انظر: سماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت١٣٩٩هـ): إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، (عني بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين، بيروت، طبعة دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٩م) ٣٨٣/٤.

(٢٩٠) نسبة إلى مدينة السَّماوة.

(٢٩١) لطف الله قاري: الحبر والمداد في كتب الصناعات الشاملة، (القاهرة، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٥٥، ج١، ٢٠١١م)، ص٩٢.

(٢٩٢) الظاهر ركن الدين حكم خلال الفترة ٦٥٨-٦٧٦هـ /١٢٥٩-١٢٧٤م.

(٢٩٣) أشار حاجي خليفة في كشف الظنون إلى أنه مذكور في كتبِ الجَفْر.

(٢٩٤) إسماعيل البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (ملحق كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة، تحقيق: محمد شرف الدين، إستانبول، وزارة المعارف، ١٩٤٥)، ٢٨٠/١-٢٨١؛ لطف الله قاري: مقدمة زهر البساتين، ص١٨-١٩.

(٢٩٥) رمضان ششن: فهرس المخطوطات العربية النادرة في مكتبات تركيا، (إسطنبول، مركز التاريخ والتراث والثقافة والفنون، ١٩٩٧م)، ٨٠٩، ٩٠٢.

(٢٩٦) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٩٥٨/٢؛ لطف الله قاري: مقدمة زهر البساتين، ص٢١، ٢٢.

(٢٩٧) نيللي سلامة العامري: الولاية والمجتمع، ص٥٢٦.

(٢٩٨) محسن جمال الدين: مخطوطة المختار في كشف أسرار المحتالين، ص١٩١، ١٩٢.

(٢٩٩) منذر الحايك: مرجع سابق، ص٢١.

(٣٠٠) منذر الحايك: المختار، ص٢٠.

(٣٠١) محمد ألتونجي: مقدمة كتاب المختار في كشف الأسرار، ص٧.

(٣٠٢) ينسب هذا القول لأفلاطون، انظر: أبجد العلوم، للقنوجي، ص٢٤٠.

(٣٠٣) الجوبري: المختار ١٦٧.

المصادر والمراجع

أولًا- المصادر العربية:

١- الإحسائي، أبو بكر بن محمد بن عمر المُلَّا: تنبيه الأفهام بتأويل الأحلام، (الدوحة، دار الثقافة، ١٩٨٨م).

٢- الإسكندري، الحسن بن محمد القرشي العبدري (ت٦٤٠هـ/١٢٤٣م): الحِيَل البابلية للخزانة الكاملية، (تحقيق: لطف الله قاري، الدوحة ٢٠١٦).

٣- ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد (ت٧٢٩هـ): معالم القربة في طلب الحسبة، (كمبردج، دار الفنون، د.ت).

٤- ابن بَشْكُوال، الصلة، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٦٦م).

٥- ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري (ت٣٨٧هـ): إبطال الحِيَل (تحقيق: زهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ).

٦- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي (ت٧٧٩هـ): رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، (الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ).

٧- الباباني، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (ت١٣٩٩هـ): هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (استانبول، طبع بعناية وكالة المعارف، ١٩٥١م).

٨- الباباني، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، (عني بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين، بيروت، طبعة دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٩م).

٩- الباقلاني، أبو بكر (ت٤٠٣هـ/١٠١٣م): البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والسحر، (نشره ريتشارد مكارثي، بيروت، دار صادر، ١٩٥٨م).

١٠- التِّلِمْساني، ابن الحاج المغربي: شموس الأنوار وكنوز الأسرار الكبرىٰ، (ط١, القاهرة، مكتبة صبيح، د.ت).

١١- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الليثي، أبو عثمان (ت٢٥٥هـ): الحيوان، (ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).

١٢- الجبرتي، عبد الرحمٰن بن حسن (ت١٢٣٧هـ): تاريخ عَجائب الآثار في التراجم والأخبار، (بيروت، دار الجيل، ١٩٩١م).

١٣- چلبي، أوليا، الرحلة إلى مصر والسودان وبلاد الحبش ١٠٨٢-١٠٩١هـ/١٦٧٢-١٦٨٠م، (ج٣ مواكب مصر واحتفالاتها، ترجمة الصفصافي أحمد القطوري، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠م).

١٤- الجوبري، عبد الرحيم بن عمر (ق٧هـ): المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار، (تحقيق: منذر الحايك، دار صفحات، دمشق ٢٠١٤م).

١٥- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ): المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م).

١٦- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد: تلبيس إبليس، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ٢٠٠١م).

١٧- الجوهري، محمد: موسوعة التراث الشعبي العربي «المعتقدات والمعارف الشعبية»، (القاهرة، سلسلة الدراسات الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٢م).

١٨- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني»: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (اعتناء: محمد عبد المعيد، الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٢م)؛ (بيروت، تصحيح سالم الكرنكوي، دار صادر ١٩٦٧م).

١٩- ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري (ت٩٧٤هـ): الفتاوى الحديثية، (القاهرة، دار الفكر، د.ت).

٢٠- ابن حيان، حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء، أبو مروان (ت٤٦٩هـ): المقتبس من أنباء الأندلس، (تحقيق محمود مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م).

٢١- ابن خاقان، أبو النصر الفتح محمد بن عبد الله، (ت٥٣٥هـ/١١٤٠م): قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، (تحقيق حسين يوسف خربوش، القاهرة، مكتبة المنار، د.ت).

٢٢- ابن خلدون، عبد الرحمٰن بن محمد بن محمد (ت٨٠٨هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، (تحقيق: خليل شحاتة، ط٢،بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م).

٢٣- دافين، بريس: إدريس أفندي في مصر، (ترجمة: أنور لوقا، القاهرة، دار أخبار اليوم، ١٩٩١م).

٢٤- ابن دانيال الموصلي، شمس الدين محمد ابن دانيال الموصـــلي الكحـــال (ت٧١٠هـ): طيـــفُ الخيال، (تحقيق: عمرو عبد العزيز منير، ط ١، القاهرة ٢٠١٦م).

٢٥- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن: المطرب من أشعار أهل المغرب، (تحقيق: إبـــراهيم الأبياري وآخرون، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب،١٩٩٣م).

٢٦- ابن الدهان، محمد بن محمد بن سليمان بن غالب: إرخاء الستور والكلل في كشـــف المـــدكات والحِيَل وإيضاح الجد منها والهزل، (مخطوط بمكتبة رضا رامبو بالهند، برقم ٢٥١٣).

٢٧- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت٧٤٨هـ): تـــاريخ الإســـلام ووفيـــات المشـــاهير والأعلام، (تحقيق: بشار عوَّاد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٣م).

٢٨- ابن رسول، المظفر يوسف بن عمر بن علي (ت٦٩٤هـ): المخترع في فنون مـــن الصـــنع، (تحقيق: محمد عيسى صالحية، الكويت، مؤسسة الشراع، ١٩٨٩م).

٢٩- الرازي، أحمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي، (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م): الزينـــة في الكلمات الإسلامية، (مخطوطة نسخة مصورة في مكتبة المتحف العراقـــي تحـــت رقـــم ١٣٠٦).

٣٠- الزَّبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزَّاق الحسيني (ت١٢٠٥هـ): تاج العـــروس مـــن جـــواهر القاموس، (تحقيق: مجموعة من المحققين، القاهرة، دار الهداية ١٩٩٩م).

٣١- الزرخوني، محمد بن أبي بكر بن عمر (ت٨٠٨هـ): زهر البساتين في علم المشاتين، (تحقيق: لطف الله قاري، القاهرة، مكتبة الإمام البخاري، ٢٠١٢م).

٣٢- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت٧٧١هـ): معيد النعم ومبيد النقم (تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، ط٢، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٣م).

٣٣- السقطي المالقي، محمد بن أحمد: آداب الحسبة (تحقيق: ليفي بروفنســـال وكـــولان، بـــاريس، المطبعة الدولية، ١٩٣١م).

٣٤- شاه، ابن وصيف: جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور في أخبار الديار المصرية المعروف بفضائل مصر وأخبارها، (تحقيق محمد زينهم، ط١، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٤م).

٣٥- ابن سيرين، محمد: منتخب الكلام في تفسير الأحلام، (مصطفى البـــابي الحلبـــي، القـــاهرة ١٩٤٠م).

٣٦- أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين المقدسي الدمشقي (ت٦٦٥هـ): الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، (تحقيق: إبراهيم الزيبق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م).

٣٧- ابن شُهيد الأندلسي، أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك (ت٤٢٦هـ): الباهر في عجائب الحِيَل، (تحقيق: عمرو عبد العزيز منير، القاهرة، مجلة الثقافة الجديدة العدد (٣٠٠)، ٢٠١٥م).

٣٨- الشيرازي، محمد الموسوي، الفرقة الناجية، (تعريب وتحقيق: فاضل الفراتي، ط١، بغداد، مكتبة الأمين ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

٣٩- الشربيني، يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر: هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف، (القاهرة، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٣٠٨هـ).

٤٠- الصفا، إخوان: الرسائل، (تحقيق: بطرس البستاني، بيروت، دار صادر ١٩٥٧).

٤١- طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفىٰ: مُفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، (ج١، تحقيق كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨م).

٤٢- الطرطوشي، محمد بن الوليد بن محمد بن خلف: الحوادث والبدع، (تحقيق: علي حسن الحلبي، القاهرة، دار ابن الجوزي، ١٩٩٨م).

٤٣- عالي، مصطفىٰ: موائد النفائس في قواعد المجالس، (ترجمة حازم سعيد محمد منتصر، ضمن دراسة نقدية وترجمة إلى العربية، (الزقازيق، رسالة ماجستير – غير منشورة – قسم اللغة التركية، جامعة الأزهر ٢٠٠٣م).

٤٤- العراقي، أبو القاسم: عيون الحقائق وإيضاح الطرائق، (مخطوط بالجامعة الأمريكية بالقاهرة).

٤٥- العياشي، أبو سالم عبد الله بن محمد: الرحلة العياشية، (ج١، تحقيق سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، أبو ظبي، دار السويدي، ٢٠٠٥م).

٤٦- الفيروزآبادىٰ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ): القاموس المحيط (بيروت، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٥م).

٤٧- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٩م).

٤٨- القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م).

٤٩- القللوسي، أبو بكر محمد بن محمد الأندلسي: تُحف الخواص في طُرف الخواص في صـــنعة الأمدَّة والأصباغ والأدهان (تحقيق: حسام أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، مكتبة الإســكندرية، ٢٠٠٧م).

٥٠- القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحســيني البخــاري (ت١٣٠٧هـ): أبجد العلوم، (القاهرة، دار ابن حزم، ٢٠٠٢م).

٥١- ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله: رسالة في الحسبة، «ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلســية في آداب الحسبة والمحتسب»، (تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، المعهد العلمــي الفرنســي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م).

٥٢- ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي: ثلاث رسائل أندلسية فــي آداب الحســبة والمحتســب، (تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي، ١٩٥٥).

٥٣- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت٧٧٤هـ): البداية والنهاية، (تحقيق: علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م).

٥٤- أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري (ت٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة فــي ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة، دار الكتب والوثائق ١٩٦٠).

٥٥- المجريطي، أبو القاسم مسلمة بن أحمد: غاية الحكيم (نشر: محمود نصار، القــاهرة، مكتبــة الجمهورية العربية، د.ت).

٥٦- مجهول: ألف ليلة وليلة، (ج٢، بيروت، دار صادر، طبعة أصلية وكاملة، د.ت).

٥٧- مجهول: تغريبة بني هلال، (بيروت، المكتبة الثقافية، د.ت).

٥٨- مجهول: سيرة الملك الظاهر بيبرس، (دمشق، مكتبة الحضارة ومكتبة المهايني، د.ت).

٥٩- المسعودي، محمد: الحِيَل، (المدينة، السنة السابعة عشرة، العددان (٧١، ٧٢)، مطابع الجامعة الإسلامية ١٤٠٦هـ).

٦٠- المعطاني، عبد الله سالم: ابن شُهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي، (مكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات العليا العربية، جامعة الملك عبد العزيز ١٩٧٧م).

٦١- المقريزي، تَقي الدين أَبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ): درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، (تحقيق: محمود الجليلي، ج٣، بيروت، دار الغــرب الإســلامي، ٢٠٠٢م).

٦٢- المقريزي، تَقي الدين أَبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ): السلوك في معرفة دول الملوك، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية١٩٩٧م).

٦٣- المقريزي، تَقي الدين أبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).

٦٤- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين (ت٧١١هـ): لسان العرب، (ط٣، دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ).

٦٥- النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي (ت٤٣٨هـ): الفهرست، (تحقيق إبراهيم رمضان، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٧م).

٦٦- نيبور، كارستن: رحلة إلى بلاد العرب وما حولها، (ج١ «الرحلة إل مصر»، ترجمة مصطفى ماهر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م).

٦٧- الوطواط، أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي (ت٧١٨هـ): غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م).

٦٨- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيىٰ: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، (تحقيق: مجموعة محققين، إشراف: محمد حجي، الرباط، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٩٨١م).

٦٩- ابن الوزان، الحسن بن محمد الوزان الزياتي، المعروف بليون الإفريقي: وصف إفريقيا، (ترجمة عبد الرحمٰن حميدة، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٥م).

ثانيًا- المراجع العربية والمعربة:

١- إسماعيل، البيومي: الوفود السياسي لمصر والشام إبان حكم سلاطين المماليك، (مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد ٣٠، يناير ٢٠٠٢م).

٢- بدوي، أحمد زكي: مُعجم مُصطلحات العلوم الاجتماعية، (بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٧م).

٣- البغدادي، إسماعيل: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (ملحق كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة، تحقيق: محمد شرف الدين، إستانبول، وزارة المعارف، ١٩٤٥).

٤- بكير، محمود: علم الحِيَل لغة واصطلاحاً في التراث العربي الإسلامي، (دبي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد (١٦)، ١٤١٧هـ).

٥- ألتونجي، محمد: مقدمة كتاب المختار في كشف الأسرار، (الكويت، دار الكتـاب الجـامعي، ١٩٩٦م).

٦- تيمور، أحمد: الكنايات العامية، (ط٣، بيروت، الشركة الشرقية للنشر، والتوزيع، ١٩٧٠).

٧- التيمومي، الهادي وآخرون: المغيبون في تاريخ تـونس الاجتمـاعي، (ط١، تـونس، بيـت الحكمة، ١٩٩٩م).

٨- جمال الدين، محسن: مخطوطة المختار في كشف أسرار المحتالين ونواميس الحيالين، (مجلة التراث الشعبي، العددان الثاني، والثالث، السنة السابعة، بغداد١٩٧٦م).

٩- الحايك، منذر: تقديم كتاب المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار، (دمشق، دار صفحات، ٢٠١٤م).

١٠- الحباني، محمد عزيز، وآخرون: مُعجم العلوم الاجتماعية (تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م).

١١- الحجي، حياة ناصر: أحوال العامة في حكم المماليـك، دراسـة فـي الجوانـب السياسـية والاقتصادية والاجتماعية، (الكويت، دار القلم، ١٩٩٤م).

١٢- حرب، طلال: بنية السيرة الشعبية، وخطابها الملحمي في عصر المماليـك، (ط١، بيـروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٩م).

١٣- حلاق،حسان؛ عباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانيـة ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩١م).

١٤- حمزة،عبد اللطيف: الأدب المصري مِن قيام الدولة الأيوبية، حتى مجيء الحملة الفرنسـية، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب, ٢٠٠٠م).

١٥- حمود، ماجدة: صورة الآخر في التراث العربي (بيروت، الدار العربيـة للعلـوم ناشـرون، ٢٠١٠م).

١٦- الدليمىٰ، طه هاشم: المكدون في التراث العربي، (بغداد، مجلة التراث الشعبي، ع ١١ السـنة ٦، ١٩٧٥م).

١٧- دوزي، رينهارت: تكملة المعاجم العربية، (ترجمة: محمد سليم، وجمال الخياط، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام العراقية د.ت).

١٨- ديفيز، أوين: السحر مقدمة قصيرة جداً، (ترجمة: رحاب صلاح الدين، ط١، القاهرة، هنداوي للنشر ٢٠١٤م).

١٩- الساعاتي، سامية: السحر والسحرة بحث في علم الاجتماع الغيبي (ط٢، القاهرة، دار قباء، ١٩٨٢م).

٢٠- الشحاذ، أحمد محمد: الملامح السياسية في حكايات ألف ليلة وليلة، (بغداد، منشورات وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٧م).

٢١- الشرباصي، أحمد: حديث السحر في القرآن، (القاهرة، الهلال، عدد يناير، ١٩٧٥م).

٢٢- ششن، رمضان: فهرس المخطوطات العربية النادرة في مكتبات تركيا، (إسطنبول، مركز التاريخ والتراث والثقافة والفنون، ١٩٩٧م).

٢٣- شكري، عطارد: مصر المملوكية في بابات ابن دانيال، (القاهرة، مجلة الفنون الشعبية، عدد (٨٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩).

٢٤- الصقار، سامي: كتاب المخترع في فنون من الصنع، (الرياض، مجلة الدارة، مج٢١، ع ١، ١٩٩٥م).

٢٥- الطالبي، محمد: الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، (مجلة الأصالة، يوليو، أغسطس ١٩٧٥).

٢٦- الطوخي، عبد الفتاح: سحر هاروت وماروت في الألعاب السحرية، (ج١، القاهرة، مكتبة القاهرة، د. ت).

٢٧- عاشور، سعيد عبد الفتاح: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك (دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٢م).

٢٨- العامري، نيللي سلامة: الولاية والمجتمع، (بيروت، الفارابي ٢٠٠٦م).

٢٩- عزيز، كارم محمود: الأسطورة فجر الإبداع الإنساني، سلسلة الدراسات الشعبية، العدد (٦٦)، القاهرة، هيئة قصور الثقافة ٢٠٠٢م).

٣٠- عشماوي، سيد: الجماعات الهامشية المنحرفة في تاريخ مصر الاجتماعي الحديث، (القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٥م).

٣١- عمارة، محمد: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية (القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٣م).

٣٢- العملة، عبد الجبار أحمد محمد: نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز الحسامي الناصـــري، (نابلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح ٢٠٠٠م)

٣٣- قاري، لطف الله: الحبر والمداد في كتب الصـــناعات الشـــاملة، (القـــاهرة، مجلـــة معهـــد المخطوطات العربية، مج٥٥، ج١، ٢٠١١م).

٣٤- قاري، لطف الله: مقدمة كتاب زهر البساتين في علم المشـــاتين، (القـــاهرة، مكتبـــة الإمـــام البخاري، ٢٠١٢م).

٣٥- قاسم، إسماعيل عبد المنعم محمد: الأمراض الاجتماعية بين الطبقة الأرستقراطية المملوكيـــة في مصر زمن المماليك البحرية، (رسالة ماجســـتير غيـــر منشـــورة، آداب عـــين شـــمس، ١٩٨٨م).

٣٦- قاسم، قاسم عبده: ماهية الحروب الصليبية، (الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ع ١٤٩، المجلس الوطني للثقافة ١٩٩٠م).

٣٧- قاسم، قاسم عبده: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي. (القاهرة، دار عين، ١٩٩٨م).

٣٨- قاسم، قاسم عبده، علي السيد علي: الأيوبيون والمماليـــك، التـــاريخ السياســـي والعســـكري، (القاهرة، عين للدراسات والبحوث، ١٩٩٥م).

٣٩- قرحيلي، نبيل جميل: الاحتفالات في عصر المماليك، (دمشق، رســـالة ماجســـتير – غيـــر منشورة، قسم التاريخ، جامعة دمشق، ٢١٠م).

٤٠- الكرمي، حسن: المعجم الأكبر، (بيروت، مكتبة لبنان ١٩٨٧م).

٤١- لاين، إدوارد وليم: عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم، (ترجمة: سهير دســـوم، القـــاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩م).

٤٢- لينبول، ستانلي: سيرة القاهرة، (ترجمة حسن إبراهيم، علي إبراهيم حسن، القاهرة، المركـــز القومي للترجمة، ٢٠١١م).

٤٣- محمد، أحمد رمضان أحمد: المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصـــليبية، (القاهرة، وزارة التربية والتعليم ١٩٧٧م).

٤٤- المحمودي، أحمد: عامة المغرب الأقصى في العصـــر الموحـــدي، (القـــاهرة، دار رؤيـــة، ٢٠٠٩م).

٤٥-مصطفىٰ، إبراهيم، وآخرون: المعجم الوسيط، (القاهرة، وزارة التربية والتعليم، ١٩٩٣م).

٤٦-منير، عمرو عبد العزيز: العمران المصري بين الرحلة والأسطورة، (القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١١م).

٤٧-ميلر، جوستاف هيندمان: موسوعة تفسير الأحلام، (ترجمة: هدى موسىٰ، القاهرة، ١٩٩٠م).

٤٨-النجار،محمد رجب: الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي، (سلسلة الدراسات الشعبية العدد (١١٠)، القاهرة، هيئة قصور الثقافة، ٢٠٠٧م).

٤٩-الهلالي، شريف علىٰ: علم الحِيَل: أصول الحذق العربي، (العراق، مجلة ثقافتنا، وزارة الثقافة العراقية ٢٠٠٧م).

٥٠-وونر، مارينا: السحر الأغرب مشاهد فاتنة من وحي ألف ليلة وليلة، (ترجمة: عبلة عودة، أبو ظبي، مشروع كلمة ٢٠١٦م).

٥١-يونس، عبد الحميد: معجم الفولكلور، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م).

ثالثًا- المراجع الأجنبية:

1- *Ayalon D: The Wafidya in the Mamluk Kingdom (Studies on the Mamluks of Egypt, London,1977).*

2- *Charles Burnett, Magic and Divination in the Middle Ages: Texts and Techniques in the Islamic and Christian Worlds (Aldershot, Great Britain and Brookfield, VT, USA: Variorum,1996).*

3- *Conder: clade. Tent Work in Palestine, London,1889.*

4- *Fahd, Tawfiq; "NĪRANDJ" in Enyclopaedia of Islam (EI2), vol. 8 (1995),*

5- *Frances E. Peters, "Hermes and Haran: The Roots of Arabic-Islamic Occultism", in Magic and Divination in Early Islam, ed. Emilie Savage-Smith (Aldershot, Hants, Great Britain and Burlington, VT, USA: Ashgate/Variorum, 2004), p. 55.*